

البريد في الدولة المهدية بالسودان

(1302-1316 هـ / 1885-1898 م)



حاتم الصديق محمد أحمد

البريد في الدولة المهدية بالسودان

(1302-1316هـ / 1885-1898م)

حاتم الصديق محمد أحمد

الطبعة الأولى

2024م

اسم الكتاب

البريد في الدولة المهدية بالسودان

(1302-1316 هـ / 1885-1898م)

اسم الكاتب

حاتم الصديق محمد أحمد

الإيداع القانوني

2024م/.....



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arithria for Publishing and Distribution

الناشر

دار آريثريا للنشر والتوزيع - الخرطوم - السودان

جوال: 121566207 - 00249122094856

البريد الإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى - 2024م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله
بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿ أَذْهَبَ بِكُنُيِّ هَذَا فَالِقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

(سورة النمل: الآية 28)

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾

(سورة الزخرف: الآية 12)

الإهداء

إلى عمّال البريد في السودان
عبر تاريخهم وكفاحهم الممتد؛ أُهدي هذا الكتاب ...

المؤلف

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والشكر له على جزيل الخيرات والهبات والنعم.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور عوض أحمد حسين شبا - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان، والأستاذ حوى النبي علي صالح لقيامهما بمراجعة مسودة هذا الكتاب، والشكر أيضا للدكتورة إخلاص مكاوي محمد علي - دار الوثائق القومية - الخرطوم لمدي بالعديد من المعلومات المهمة والمفيدة، والشكر للدكتورة هالة أبايزيد بسلطان أستاذ اللغة العربية بجامعة أم درمان الأهلية لقيامها بمراجعة وتدقيق الكتاب من الناحية اللغوية، والشكر أيضاً للدكتور خالد عثمان أحمد الذي قام بتصميم الكتاب.

نسأل الله تعالى لنا ولهم وللجميع التوفيق والسداد،،،

المؤلف

المحتويات

الصفحة	الموضوع
11	المقدمة
15	تمهيد عام
21	الفصل الأول: البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان (1821-1888م)
39	الفصل الثاني: البواخر النيلية في فترة الخديوية المصرية (-1821 1885م)
61	الفصل الثالث: المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) في السودان
81	الفصل الرابع: ملامح بدايات البريد في الدولة المهدية في السودان
97	الفصل الخامس: كُتَاب الرسائل في الدولة المهدية
117	الفصل السادس: المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد في الدولة المهدية
135	الفصل السابع: الخيول وخدمة البريد في الدولة المهدية
153	الفصل الثامن: الجمال وخدمة البريد في الدولة المهدية
171	الفصل التاسع: المراكب والبواخر وخدمة البريد في الدولة المهدية
179	الخاتمة
183	المصادر والمراجع

المقدمة

الخدوية المصرية هي الحقبة التي حكمت فيها أسرة محمد علي باشا وخلفائه من أسرته السودان، وقد شهد السودان في عهدها (1821-1885م) تطوراً ملحوظاً في شتى المجالات: الزراعية، والتجارية، والتعليمية، والعسكرية، ومجال الطباعة، والاتصالات والنقل. ويمكن القول إن هذه الحقبة قد أسهمت في نقل السودان نحو التحضر والمدنية والتطور على الرغم من المآسي والمشكلات التي واجهها أهل السودان نتيجة لكثير من القرارات الإدارية التي صدرت بغرض تحصيل المزيد من الضرائب من السودانيين. ومن الأشياء المهمة التي نجح عهد الحكمادارية المصرية في السودان في أن يدخلها لهذه البلاد وتسهم في تطوير الطباعة فيه، هي المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) التي مثلت حجر الزاوية لنهضة كبيرة في الطباعة وصناعة الورقة بمقياس تلك الفترة، حيث كان هناك مصنع للأوراق ملحق بالمطبعة التي أسهمت في طباعة الأوامر الحكومية وسجلاتها والرسائل الداخلية والخارجية، كما نجحت أيضاً في ربط السوان بعالم الطباعة والتوزيع في ذلك الوقت.

وبعد قيام الثورة المهدية (1298هـ/1881م) التي ورثت أمجاد الخديوية المصرية في السودان، اتجهت إلى استغلال كل ما هو مفيد مثل المطبعة وورش التصنيع الحربي والبواخر ونظم إدارة المال وإدارة الدولة، وهي بذلك تكون قد بنت على ما قامت به الخديوية المصرية في السودان، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك حيث اعتمدت

التقسيم الإداري الذي خلفته الخديوية، واستعانت بأصحاب الخبرة الإدارية في مختلف المجالات، ممن عملوا في فترة حكم الخديوية في السودان، ويمكن القول أنها قد أخفقت في أمر مهم ولم تستفد منه بالصورة المثلى ولم تقم بتشغيله ليكمل لها ما يمكن أن يكون لبنة أساسية لخدمة البريد في الدولة؛ ألا وهو نظام التلغراف الذي يُعد من أهم أدوات التواصل في ذلك الوقت؛ إذ استفادت من جزء بسيط منه عندما ربطت الترسانة ببيت المال في أم درمان، ولم يتطور الأمر أبعد من ذلك، ويُرجّح أن من الأسباب التي دفعت الخليفة عبد الله التعايشي للإحجام عن استخدام التلغراف، على الرغم من توفر بنيته التحتية، خوفه من التخريب الذي يمكن أن تتعرض له خطوط التلغراف المنتشرة على طول البلاد وعرضها، بالإضافة إلى ندرة الخبراء الذين يعملون في هذا المجال؛ إذ يحتاج نظام التلغراف لموظف في كل مدينة، وأيضاً نرجّح أن خوف الخليفة عبد الله من اختراق هذا النظام الحساس من قبل المخابرات المصرية التي كانت تتحين الفرص للإيقاع به هو من أهم الأسباب لإهماله التلغراف. وقد كان الخليفة عبد الله يرغب في أن تكون كل المكاتبات في يده وتحت بصره، والخطابات توفر له هذا الأمر، حيث يمكنه الاطلاع على مئات الخطابات يومياً.

لقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى مقدمة وتسعة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول: البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان (1821-1885م) تمهيداً للدراسة بصورة عامة، ثم خصص الفصلين الثاني والثالث للمراكب والبواخر النيلية في فترة الخديوية المصرية في السودان (1821-1885م)، والمطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) في

السودان لارتباط الموضوعين بالبريد في الدولة المهدية، أما الفصل الرابع فقد تناول ملامح بدايات البريد في الدولة المهدية وأهميته، واهتم الفصل الخامس بكتّاب الرسائل في الدولة المهدية، وجاء الفصل السادس عن المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد في الدولة المهدية، وركّزت الفصول الثلاثة الأخيرة بالتفصيل على وسائل النقل آنذاك وهي الخيول والجمال والمراكب والبواخر ودورها في خدمة البريد في الدولة المهدية. وتم تضمين الدراسة عدد وافر من الصور والأشكال والخرائط، كما اعتمدت على مصادر ومراجع عديدة ومتنوعة تم توضيحها في نهاية الكتاب في قائمة المصادر والمراجع. وقد كان المنهج التاريخي الاستقرائي التحليلي هو الأداة التي حركت عجلة البحث في ثنايا الفصول.

وختاماً نكرر شكرنا وتقديرنا لكل الذين ساعدوا في مدي بالمعلومات وفي مراجعة وتصويب مسودة الكتاب، ونسأل الله تعالى أن يسهم هذا الكتاب في رفد المكتبة السودانية والعربية بمادة جديدة ومفيدة.

تمهيد عام

يُعد البريد واحداً من أهم الأدوات التي أسهمت بصورة كبيرة في ربط أطراف الدولة المهدية المترامية الأطراف، التي قامت في السودان في الفترة من 1881 حتى 1898م، على أنقاض أملاك الخديوية المصرية التي امتد حكمها لهذا البلد لأكثر من ستين عاماً وذلك خلال الفترة من 1821 حتى 1885م، كما استفاد الخليفة عبد الله من هذا المرفق المهم في زمنٍ لم تكن تتوافر فيه وسائل الاتصال بصورتها الحديثة المتطورة، وعلى الرغم من ذلك تمكن الخليفة عبد الله بواسطة معاونيه من أمراء وقادة جيش وأمناء بيوت مال وعمال للبريد وكتبة وعمال مطبعة الحجر (المطبعة الأميرية) وكافة مرافق الدولة، تمكن من توصيل أوامره وتوجيهاته إلى مناطق الدولة المهدية المختلفة بكل سهولة ويسر، والناظر لمؤسسات الدولة المهدية يجد أن مؤسسة البريد تستحق الثناء والإشادة لما قامت به وما قدمته طوال تاريخ الدولة المهدية من خدمات للأمراء وقادة الجيش ومعظم سكان الدولة، وقد استفاد نظام البريد مما ورثه من مقتنيات الخديوية المصرية في السودان مثل المطبعة، والورق، والعمال والموظفين، والبواخر، والجمال، والخيول وغيرها من الوسائل والأدوات التي سهلت عمل البريد في الدولة. وقطعاً هي عناصر مهمة ورئيسة لضمان وصول البريد للمناطق المحددة في أقل زمن ممكن، وقد لعب الورق دوراً مهماً في كتابة الخطابات والتوجيهات والكتب وغيرها من المنشورات

التي تتعلق بالمهدي والخليفة وغيرهم من رجال الدولة. كما لعبت الخيول والجمال (الهجانة) والبواخر دوراً محورياً في إيصال هذه الخطابات إلى مناطق السودان المختلفة على الرغم من اتساع رقعة الدولة المهدية، كما أن للبواخر والمراكب دور مهم وواضح في نقل البريد للمناطق البعيدة وتحديد مناطق جنوب السودان والتي يتعذر فيها وصول الجمال والخيول لطبيعتها الوعرة وتضاريسها القاسية، ومن المناطق التي تمكنت البواخر والمراكب من الوصول إليها منطقة الرجاف وأعالي النيل وبحر الغزال.

حافظت الدولة المهدية على نظام البريد بكل تقسيماته وفروعه حتى سقوطها في العام (1316هـ/1898م)، وقد سعى هذا الكتاب إلى تسليط الضوء على نظام البريد في الدولة المهدية لأنه يُعد من الأدوات الرئيسية التي أسهمت في استمرارية الدولة في ظل العديد من الصراعات الداخلية والأطماع الخارجية، كما يُحسب لهذا النظام أنه استطاع القيام بالعديد من المهام التي أوكلت إليه من قبل الخليفة عبد الله والأمير يعقوب والأمراء والقادة العسكريين والمدنيين في مختلف عمالات (أقاليم) الدولة المهدية. وبالإضافة للمهام المدنية التي قام بها نظام البريد نجد أنه قد لعب دوراً مهماً في العمليات الاستخباراتية في الدولة المهدية، من خلال التقارير المكتوبة أو الشفاهية والملاحظات التي كانت تُرفع للخليفة عبد الله والأمير يعقوب (جراب الرأي) في العاصمة أم درمان.

تتبع أهمية هذا الكتاب من إنه الدراسة الوحيدة، حسب علمي، التي تناولت نظام البريد في الدولة المهدية بصورة مفصلة؛ وذلك

لأهمية وحيوية هذا النظام، ومدى قدرته على إنجاز المهام بالصورة المثلى، ويمكن القول أن نظام البريد في الدولة المهدية يُعد من الأنظمة التي حافظت على قدراتها التي ورثتها عن الخديوية المصرية في السودان بصورة تستحق الإشادة والإعجاب، كما نجح هذا النظام في إنجاز معظم المهام التي أوكلت إليه بقدر من المهنية والاحترافية العالية، الأمر الذي يعكس مدى انضباط العاملين في هذا المرفق المهم.

ويحسب لنظام البريد في الدولة المهدية قدرته على ربط أطراف الدولة ببعضها البعض، كما استفاد الخليفة عبد الله من هذا المرفق المهم في زمن لم تكن تتوافر فيه وسائل الاتصال الحديثة، فقد كان يوصل أوامره وتوجيهاته إلى مناطق الدولة المهدية المختلفة، والناظر لمؤسسات الدولة المهدية يجد أن مؤسسة البريد تستحق الثناء كما أوضحنا سابقاً، لما قامت به وما قدمته من خدمات للأمراء وقادة الجيش ومعظم سكان الدولة، وقد استفاد نظام البريد مما ورثه من مقتنيات الخديوية المصرية في السودان مثل الورق، وهو عنصر أساسي في نظام البريد وفي كتابة الخطابات والأوامر والتوجيهات، والأمر الثاني الخيول والجمال (الهجانة) حيث لعبت الخيول والجمال دوراً مهماً في نقل البريد إلى مناطق الدولة المهدية المختلفة، رغم اتساع رقعة الدولة المهدية، وبالإضافة للخيول والجمال شكَّلت البواخر والمراكب عنصر دعم لنظام نقل البريد في الدولة المهدية.

الفصل الأول

البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان

(1821-1885م)

الفصل الأول

البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان

(1821-1885م)

يذكر المقرئ في الخطط أن أصل كلمة بريد هي (بريد ذنب) لأن الملك الفارسي (دارا) هو أول من ابتكر نظام البريد وأقام بدله بغال مقطوعة الأذنان لكي يتم تمييز بغال البريد عن غيرها من البغال، ثم عُرِبَت الكلمة وحذف منها نصفها الأخير (ذنب) فأصبحت (بريد)، ويُعد معاوية بن أبي سفيان هو أول من استخدم البريد في الدولة الإسلامية، ثم أدخل عليه الخليفة عبد الملك بن مروان بعض التحسينات، وقد كان يوصي حاجبه بإدخال رجل البريد عليه ليلاً أو نهاراً، لأن تأخير ساعة قد يؤدي إلى إفساد أعمال الولاية، وفي الدولة العباسية عمل الخليفة أبو جعفر المنصور على تسيير البريد بين مكة والمدينة واليمن، وجعل له بغال وإبل، وذلك في العام 186هـ، كما قام بتحديث نظام البريد وجعله ديواناً مهماً من دواوين الدولة، وقد كان عامل البريد يراقب الولاية ويتجسس عليهم وعلى الأعداء، كما كان يقوم بنقل أخبار أطراف الدولة للخليفة⁽¹⁾.

فكلمة بريد إذن فارسية معربة من المصدر الفارسي «بَرِيدَن» بمعنى حامل الرسائل، وقد كانت الرسائل قديماً تحملها دواب مخصصة

لهذا الأمر، وعندما دخل اللفظ إلى العربية أصبح معناه (بريد رسول) والذي يعني حامل الرسائل لمسافة تقدر بأربعة فراسخ أو ما يساوي 24 كيلو متر، وقد استعمل البريد بمعنى الرسول فيقال مجازاً «الحُمَّى بريد الموت»، وقد استخدم البحري «البريد» و «البُرد» بمعنى الرسل أو الرسائل حيث قال:

صككت على سليمان بن وهب * أبا حسن بديوان البريد
وقال أيضاً:

تحمله البُرْدُ من أقصى الثغور * إلى أدنى العراق سراعاً ريثها عجل
ففي البيت الأول ديوان البريد، أي ديوان الرسائل، وفي البيت الثاني البرد، أي الرسل التي كانت تحمل الرسائل من أقصى الثغور إلى أي مكان تريده، والبُرْد جمع بريد⁽²⁾.

أهتم محمد علي باشا بأمر البريد في السودان لبسط سيطرته عليه في العام 1821م، وكان هذا البريد يقوم بخدمة الإدارة الخديوية فقط، وقد شهد تطوراً كبيراً في السودان على يد الخديوي محمد سعيد الذي أصدر مرسوماً مهماً عند زيارته للخرطوم في العام 1857م، أمر فيه بوصول البريد إلى سنار وكردفان والتاكا، وأن يتم إنشاء محطات لحاملي البريد كل عشر ساعات تقريباً عليها هجان ومجموعة من الجمال الجيدة، ووجه أيضاً بإنشاء ثلاث محطات للبريد في كل من أبي حمد وآبار المرات وكرسكو، وقد أمر أيضاً بأن يكون لكل مديرية عشر هجانة لخدمة البريد، وقد كانت الخرطوم المركز الرئيس والمهم للبريد في السودان⁽³⁾.

يمكن القول إن الخديوي محمد سعيد هو رائد تطوير خدمة البريد في السودان، وذلك من خلال اهتمامه به لدوره المهم في إدارة البلاد، ومن خلال تسهيل مهمة حاملي البريد وإنشاء العديد من المحطات لخدمة البريد، كما أنه عمل على توفير الجمال لكل مديرية ليسهم بذلك في ربط بعضها مع بعض.

وفي عهد الحكمдар جعفر صادق (مايو 1865 - ديسمبر 1865م) أنشئت وظيفة (مفتش عام البوستة السودانية)، وتقوم مهمته على تفقد جميع المديریات لمتابعة سير البريد، وقد كان البريد ينقل من الخرطوم العاصمة إلى سواكن مرة كل أسبوع، ومن هناك ينتقل بباخرة البريد الخاصة إلى السويس، ويتم ذلك كل أسبوع أيضاً، وبعد العام 1865م تطور نظام البريد في السودان وفتحت العديد من المكاتب في المدن السودانية، وأصبح البريد ينقل من الخرطوم إلى القاهرة مرتين في الأسبوع، والنقود تنقل في ثمانية وعشرين يوماً، وإلى الأبيض في أربعة أيام وإلى الفاشر في دارفور في أحد عشر يوماً⁽⁴⁾.

وكان عمال البريد في مصر يحملون البريد القادم إلى السودان حتى كرسكو ومن هناك يحمله عمال البريد السودانيون إلى بربر، ومنها عبر البر إلى الخرطوم، وإذا صادف إبحار باخرة نحو الخرطوم من بربر يتم إرسال البريد عليها، ومن الخرطوم ينقل بريد كردفان ودارفور عبر أم درمان إلى - الطيرة الخضراء - الأبيض - الفاشر، أما بريد الجنوب فيحمل عبر البواخر من الخرطوم إلى فشودة - مشرع الرق في بحر الغزال - غندكرو على بحر الجبل، ومن هناك يقوم عمال البريد بتوزيعه لبقية المناطق. وقد تقلد الإيطالي

جاكومو لومبروزو إدارة البريد في الخرطوم، وقد وجدت خدمة البريد في السودان في فترة الخديوية المصرية الكثير من الإشادة والثناء من قبل الرحّالة والسائحين الأجانب⁽⁵⁾.

وقد تم إنشاء أول مكتب بريد في مدينة سواكن على ساحل البحر الأحمر في عهد الخديوية المصرية في السودان العام 1858، وهي أول مدينة سودانية تتمتع بهذه الخدمة، وذلك لأهميتها كميناء حيوي واستراتيجي على ساحل البحر الأحمر، وبعد ذلك قام (موتشي) بك مدير مصلحة البريد المصرية بإنشاء إدارة البريد في الخرطوم وذلك في العام 1873م⁽⁶⁾.

التلغراف (البرق) :

بالإضافة لخدمة البريد تم مد خطوط التلغراف (البرق) في معظم مدن السودان، وفي العام 1863م تم مد خطوط التلغراف من القاهرة إلى أسوان ومنها إلى وادي حلفا التي وصلها في العام 1866م، ووصل إلى الضفة الشمالية من النيل الأزرق الخرطوم بحري في يناير 1870م، ثم تم مد خط سواكن كسلا في العام 1871م⁽⁷⁾.

ومن الخرطوم بحري تم مد خط التلغراف في العام 1874م عبر كيبل نهري عبر النيل الأزرق؛ وذلك بحسب توجيهات الخديوي إسماعيل، وقد كانت هذه المكاتب في كل من الخرطوم، ودنقلا، وبربر، وكسلا، وسنار، والمسلمية، والقضارف، وفازوغلي، وكرجوع، وفشودة، والأبيض، والفاشر، وسواكن. واستمرت هذه المكاتب

في أداء مهامها حتى تحرير الخرطوم بواسطة الإمام المهدي في 26 يناير 1885م، وقد بلغت خطوط التلغراف التي أنشئت حتى عام 1870م 2110 كيلو متراً، وبلغ عدد المكاتب التلغرافية في مدن السودان المختلفة 21 مكتباً حتى عام 1877م، وظلت هذه الخطوط تعمل بكفاءة عالية حتى تحرير الخرطوم بواسطة قوات المهديّة، وخطوط التلغراف التي كانت قائمة:

- القاهرة، دنقلا، بربر، الخرطوم.
- الخرطوم، أبو قراد، الأبيض، فوجة.
- الخرطوم، أبو حراز، المسلمية، سنار، فازوغي.
- أبو حراز، القضارف، كسلا، سنهيت، مصوع.
- كسلا، قوز رجب، بربر.
- سواكن، كسلا.
- القضارف، دوكة، القلابات.
- الخرطوم، كردفان، دارفور.
- القضارف، الجيرة؛ بالقرب من الحدود مع الحبشة⁽⁸⁾.

كانت محطة التلغراف (البرق) في الخرطوم بحري على الضفة الشمالية للنيل الأزرق، تحديداً في قصر راسخ، وهو مقابل لسراي الحكمدارية، وأما مكاتب البريد فقد كانت داخل العاصمة الخرطوم، ولقد تقلد كل من (جسبورن) Gisborne منصب مدير التلغراف في السودان 1864-1874م، وخلفه جيغلر Geleger الألماني الذي ظل مديراً حتى تحرير الخرطوم⁽⁹⁾.

وقد تم استخدام اللغة التركية لتصبح لغة المكاتبات بين السودان ومصر، وكان لكل مدير مديرية مجموعة من الكتب ومسجلون يجيدون التركية والعربية، وقد قل استعمال اللغة التركية بعد وفاة محمد علي باشا، وأصبحت اللغة العربية هي لغة المراسلات بين القاهرة والخرطوم ماعدا المناطق الجنوبية، وكانت المراسلات بين الخرطوم والقاهرة باللغة العربية في عهد خورشيد باشا، وأيضاً في عهد الخديوي محمد سعيد وإسماعيل وبالتالي أصبحت اللغة العربية هي لغة المخاطبات الرسمية بين كل من القاهرة والخرطوم⁽¹⁰⁾.



جزيرة سواكن 1881م

تم تحديد ثمن إشارة البرقية عبر التلغراف والتي تشتمل على العنوان وعشرين كلمة بعشرين جنيه في كل قسم، كما تم تحديد اللغة العربية للبرقيات التي ترسل إلى السودان، كما تم اعتماد اللغات العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والتركية. وأصبح الإنجليزي (جورج) مديراً لمصلحة التلغراف في مصر، وأوكل للمستتر (هوز بورن) مهمة هندسة التلغراف وهو الذي قام بإنشاء خطوط التلغراف في السودان⁽¹¹⁾.

في العام 1871م تم مد خط التلغراف إلى مدينة سواكن في شرق السودان ومنها إلى مدينة كسلا، وفي العام 1874 وصل خط التلغراف إلى مدينة الأبيض حاضرة كردفان، وفي العام 1875م وصل مدينة فوجا في دارفور، ومن مدينة سواكن تم مد خط تلغراف تم بموجبه ربط كل من المدينة الساحلية وكسلا وبربر الأمر الذي سهل عملية التواصل مع القاهرة، وقد امتدت خطوط التلغراف في عهد الخديوية المصرية في السودان لمسافة تصل إلى 3000 ميل⁽¹²⁾.

وقد كُلف (جيجلر) باشا بعد تعيينه مديراً للتلغراف بمراجعته بين الخرطوم ومصوع وهي أول مهمة له بعد تعيينه مباشرة، ولذلك قام بإرسال خطاب إلى سلاطين باشا عندما كان في القاهرة يطلب منه مرافقته حتى سواكن وذلك في العام 1878م، وبعد ذلك نزل سلاطين في سواكن بغرض مواصلة السير عبرها إلى بربر ثم الخرطوم، وسافر بعد ذلك جيجلر باشا إلى مصوع للقيام بمهمته التي حضر من أجلها⁽¹³⁾.

أصبح جيجلر فيما بعد وكيلاً لحكمدارية الخرطوم وذلك بعد سفر الحكمدار محمد رؤوف إلى القاهرة، وقد تعهد جيجلر للحكومة المصرية بالقضاء على المهدي إذا تم دعمه بالقوات. وكان له ذلك؛ حيث تم إرسال قوة بقيادة الشلالي إلى المهدي في قدير وتمت هزيمة هذه الحملة (14).

لقد وجدت خدمة التلغراف القبول والرضى التام من قبل الأهالي والأجانب المقيمين في السودان، كما أنها أسهمت في تحسين العمل الإداري في جميع أنحاء البلاد، وقد علق كل من ولسن وفلكن، وهما بريطانيان مقيمين في الأبيض في كردفان، على خدمة التلغراف حيث قالوا: (... إننا أقرب ما نكون إلى الوطن ونحن هنا في مقامنا في الأبيض ما دمنا قادرين على الاتصال البرقي بلندن...) (15).

مما سبق يمكننا القول إن نظام البريد والتلغراف قد أسهما بصورة كبيرة في ربط جميع أجزاء السودان، وفي الوقت نفسه أصبح السودان مرتبطاً بالعالم الخارجي، وهذا الأمر مهم لتقدم وتطور أي بلد.



نقطة بريد شمال مدينة سواكن في حلايب
ترجع إلى عهد الخديوية المصرية في السودان



سلاطين باشا - يرتدي زي الدولة المهدية

ومن قادة المهديّة الذين عملوا في خدمة البريد في فترة الحكم التركي المصري في السودان 1821-1885م الأمير عثمان محمد عيسى يونس النيوم، وقد عُرف في تاريخ المهديّة بعثمان أزرق (1845-1898م)، وترجع أصوله إلى منطقة (أكد) بالولاية الشماليّة. ولد بمنطقة القطينة على النيل الأبيض، ودرس مبادئ العلوم الدينيّة، ثم عمل هجاناً لنقل البريد بين الخرطوم وكردفان ودارفور في فترة الحكم التركي، بايع الإمام المهدي وكان أميراً تحت قيادة الأمير عبد الماجد نصر الدين، جرح في معركة جُنس (1885م)، وفي العام (1887م) تمكن من القبض على الأب شارلس نيوفلد في وادي العقب، وشارك في معركة توشكي (1889م)، وهاجم آبار المرات وقتل صالح حسين بك خليفة العبادي، وقد قاد قوات المهديّة في موقعة (فركة) (1896م). جُرح في موقعة حفير مشو في نهاية العام، شارك في معركة كرري واستشهد فيها في العام (1898م)، تحدث عنه ونستون تشرشل وعن شجاعته وفدائيته في كتابه حرب النهر⁽¹⁶⁾.

كانت الخطابات تصل من القاهرة إلى الخرطوم في نحو 30-50 يوماً، وقد توقفت هذه الخدمة بين القاهرة والخرطوم بصورة رسميّة بعد تحرير الخرطوم وقيام الدولة المهديّة، ولم يتم استرجاع هذه الخدمة، أي البريد، مرة أخرى بين البلدين إلا بعد سقوط الدولة المهديّة في العام 1898م⁽¹⁷⁾.



الأمير عثمان أزرق



قصر الحكمدارية في الخرطوم في عهد الخديوية المصرية في السودان

هوامش الفصل الأول

- (1) أحمد صبحي منصور، لمحة عن نظام البريد في تاريخ المسلمين، أبريل 2009م، www.ahl-alguran.com.
- (2) مجدي عبد الجواد علوان عثمان، أضواء على البريد المصري عبر العصور الإسلامية مع دراسة آثارية لمبنى الهيئة القومية للبريد بالقاهرة (1282-1350هـ/1865-1931م)، دراسات في آثار الوطن العربي 10، ص885-886.
- (3) أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص221-222.
- (4) المرجع نفسه، ص 222.
- (5) المرجع نفسه، ص223.
- (6) عبد الحميد حسن، مقال منشور، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، الفصل التاسع عشر، الحكم المصري في السودان.
- (7) بشير كوكو حميدة، صفحات من التركية والمهدية، دار الإرشاد، الخرطوم، 1969م، ص48.
- (8) أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص223.
- (9) بشير كوكو حميدة، مرجع سابق، ص46.
- (10) أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص 224.
- (11) إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، من سنة 1863 إلى سنة 1879م، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013م ص120.

- (12) الاتصالات في السودان، منصة المعرفة الإلكترونية.
- (13) محمد أحمد الداه الشنقيطي، محمد أحمد المهدي، تاريخه، سيرته، حياته، مكتبة القاهرة، القاهرة، (ب. ت.)، ص14.
- (14) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2015م، ص 10-11.
- (15) أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص224.
- (16) عبد الرحيم محمد صالح، تقارير المخابرات البريطانية عن السودان (1892-1898م)، تقارير مترجمة ومنشورة بموقع سودانيز أونلاين، 14 يونيو 2016م، ص 19.
- (17) جاك ديفز، تاريخ طوابع البريد في السودان، (ترجمة) بدر الدين حامد الهاشمي. مقال منشور.

الفصل الثاني

المراكب والبواخر النيلية في فترة الخديوية المصرية في السودان

(1821-1885م)

الفصل الثاني

المراكب والبواخر النيلية في فترة الخدوية المصرية في السودان

(1821-1885م)

وجدت الخديوية المصرية قطرا مترامي الأطراف، وكانت في حاجة كبيرة للسفن الشراعية والبخارية والمراكب للوصول لعدد من المناطق البعيدة من السودان، وذلك لتسهيل عملية التواصل بين مناطق السودان الداخلية أولاً ثم بعد ذلك مع مصر، وذلك بعد أن أصبحت هناك ضرورة ملحة لذلك. ومن هذا المنطلق تم الاهتمام بعمليات النقل النهري في جميع مناطق السودان، وبالمناطق الجنوبية على وجه التحديد، وذلك بغرض فتح الطريق التجاري في تلك المناطق، ومحاربة تجارة الرقيق، وكذلك العمل على اكتشاف المناطق الجنوبية من السودان، ولعبت البواخر النيلية دوراً كبيراً في هذا المجال، وقد تم إنشاء الترسانة الحربية للقيام بمهمة تصنيع وصيانة هذه البواخر وهي: تل حوين، والزبير، والتركية، ونيانزا، والزبير، والمنصورة، والفاشر، وبوردس، وعباس، وشبين، والمسلمين، ومحمد علي، والسلطان، والخدوي والتي أسهمت في نقل القوات والسلع والبضائع والمحاصيل من مناطق السودان إلى العاصمة الخرطوم⁽¹⁾.

الترسانة:

من أهم المباني في الخرطوم والتي ارتبطت بفترة حكم الخديوية المصرية (الترسانة) أو دار صناعة السفن، وقد أوكل للترسانة صيانة أسطول الحكومة من البواخر والسفن والمراكب، كما كانت تقدم خدماتها للأهالي. زادت أهمية الترسانة بعد وصول صمويل بيكر إلى السودان بغرض اكتشاف منابع النيل، وكذلك عندما توسعت إمبراطورية الخديوي إسماعيل جنوباً نحو منطقة البحيرات، وقد كانت تعرف حتى عهد حكمدارية غردون 1877 فبراير - يناير 1880م باسم (إدارة النيل الأبيض)، وأطلق عليها الأهالي اسم (المنجرة) وذلك لأنها تقوم بنجارة السفن، ويرجع الفضل لخورشيد باشا في إقامة وتطوير الترسانة، وقد كانت توجيهات الباشا لخورشيد باشا بأن يهتم بصناعة السفن وأن يعمل على تعيين رئيس على مجموعة العمال المصريين الذين تم إرسالهم للعمل في الترسانة، وهم مجموعة من الجلفاطين، والنجارين، والحدادين، وقد تمت الاستعانة بهم في إنجاز صناعة السفن في ترسانة سنار، وكان خورشيد باشا شديد الاهتمام بتنفيذ توجيهات الباشا الرامية لصناعة المزيد من السفن في ترسانة سنار⁽²⁾.

وتم إنشاء أول ترسانة على النيل الأبيض في المنطقة الواقعة بين القطينة والجزيرة أبا، وكانت هذه المنطقة تتميز بوفرة أخشاب السنت العنصر الرئيس في صناعة السفن، ويُرجح أن الترسانة كانت في منطقة (ود شلعي) على النيل الأبيض، وقد كانت الترسانة بموقعها هذا عرضة للكثير من المخاطر مثل غمر المنطقة بالمياه

لمدة شهرين في موسم الفيضان، والأمراض التي كانت تفتك بعمال الترسانة، وكثرة الأمطار في تلك المناطق الأمر الذي أعاق إنجاز العمل في السفن على الوجه الأكمل، وأدى إلى غضب محمد علي باشا من حكمداره في الخرطوم خورشيد باشا⁽³⁾.

ونتيجة لهذه المشكلات وعدم رضى محمد علي باشا عن عمل الترسانة في النيل الأبيض وسنار قرر خورشيد باشا نقلها إلى الخرطوم لتكون تحت إشرافه المباشر، فقامت الترسانة بالقرب من المقرن، وتم تعيين الرئيس عمر مديراً عليها، وقد أشار عدد من الرّحالة الذين زاروا السودان في فترة الخديوية المصرية إلى أن هناك عدد من البريطانيين والفرنسيين كانوا يعملون بالترسانة، وفي فترة حكمدارية غردون الأولى تولى المهندس الإيطالي Spada إدارة الترسانة والتي تم نقلها في ذلك الوقت إلى شرق السراي (قصر الحكمدارية)⁽⁴⁾.

وبالإضافة للسفن والبواخر اهتمت الخديوية المصرية بموضوع المراكب منذ أيام الغزو الأولى للسودان، وقد تم إنشاء ترسانة ثانية في سنار وهي تدل على هذا الاهتمام، وقد طلب خورشيد باشا في فترة حكمداريته للسودان توفير 600 قنطار مسامير، 900 قنطار مشاق، 100 قنطار زفت، 10 قرب كبيرة، 15 قرية للصنديل، 15 فوارم 28 مجاديف كبيرة ذهبية - الذهبية للمراكب الكبيرة -، 20 مجداف صنادل صغيرة، وقد كانت صناعة المراكب في السودان أول الأمر غير متطورة ما دعا محمد علي باشا للتدخل وطلب تجويد هذه الصناعة لأن المجموعات التي تمت صناعتها وأُرسلت

لمحمد علي باشا لم تكن بالصورة المرضية⁽⁵⁾، حيث قال: (... سبق وأن كتبت لكم أن اعتنوا بصنع القوارب التي ستصنع في سنار؛ إذ أن التي صنعت وأرسلت لم يكن إنشاؤها متقناً، ولا كانت صالحة للعمل، واحتاجت إلى مرمة مما يجعل النفقات تتضاعف وعجبت من عدم اكتراثكم للأمر...)⁽⁶⁾.

بعد مرور عام طلبت ترسانة سنار معدات جديدة لصنع المراكب، وهي كالآتي:

- 3 قنطار خشب بندقى ثخين.
- 3 قنطار خشب رفيع.
- 90 مبرد مثلث.
- 90 مبرد مربع.
- 300 حجر مسن بقلب حديد.

ونتيجة للمجهودات التي بُذلت لصناعة المراكب في السودان انتشرت هذه الحرفة بصورة كبيرة، وتمكن مدير مديرية دنقلا من صناعة 14 مركبا من شجر الحراز، و9 مراكب من شجر السنط للعمل في المديرية، ولتطوير هذه الصناعة طلب مده بعشرة صواري، وعشرة قوارب وأربعة مجداف كبير، وقد كان محمد علي باشا يؤكد على أن صناعة المراكب في السودان فيها الكثير من الخير للحكمدارية، وقد تم تأسيس منجر (محل لصناعة المراكب والسفن الشراعية) في منطقة المقرن بالخرطوم الأمر الذي يدل على الاهتمام بهذه الصناعة⁽⁷⁾.

مما سبق نجد أن صناعة المراكب في السودان وعلى الرغم من بدايتها المتعثرة إلا أنها اتجهت نحو التطوير من خلال استغلال المواد المحلية مثل الأخشاب والأيدي العاملة وغيرها، حيث تمت الاستفادة من أخشاب السنط، والسيال، والحراز وهي من الأنواع المتوفرة في معظم مناطق السودان.

كما تمت الاستعانة بخبرات مصرية وبريطانية وإيطالية لتطوير العمل في صناعة السفن والبواخر، والمناطق التي شهدت قيام الترسانة وهي: منطقة (ود شلعي) على النيل الأبيض، وسنار على النيل الأزرق، ومنطقة المقرن، ثم منطقة شرق قصر الحكمدارية ما يدل على الاهتمام الواضح بهذا المرفق المهم وحاجة الدولة له لسد الكثير من الاحتياجات التي من أهمها السفن نفسها.



مراكب شرابية - مرسى أبو روف

عندما فكر محمد علي باشا في اكتشاف منابع النيل الأبيض وقع الاختيار على سليم قبطان لإنجاز هذه المهمة، وهو جغرافي من أصول تركية، ولد في جزيرة (كريت)، حضر مع عائلته إلى مصر والتحق بعد ذلك بالبحرية المصرية، وإليه يرجع الفضل في القيام برحلة اكتشاف منابع النيل الأبيض انطلاقاً من الخرطوم ثم أعالي النيل. صدرت إليه الأوامر من الباشا بالتحرك ناحية النيل الأبيض في 9 رمضان 1255هـ/نوفمبر 1839م، وقد كانت توجيهات محمد علي أن يصطحب معه 400 جندي من الفرقتين الأولى والثانية من المشاة في سنار. وتم تخصيص خمس ذهبيات، وهي مراكب كبيرة تم إحضارها من مصر وهي مسلحة بمدافع حربية، وثلاث ذهبيات تم أخذها من سنار، وخمسة عشر زورقاً بكامل تجهيزاتها من مؤن وأغذية وذخيرة تكفيهم لمدة ثمانية أشهر⁽⁸⁾.

فعمل محمد علي باشا على إدخال المراكب الكبيرة «الذهبيات» إلى السودان للمساعدة في اكتشاف منابع النيل، وهو بذلك يكون قد أدخل أنواعاً حديثة من المراكب إلى السودان.

ومن أسماء السفن التي دخلت إلى السودان في عهد الخديوي محمد سعيد: الفاشر، والمسلمية، والتوفيقية، وهي سفن بخارية تمكنت من عبور الجنادل الواقعة على نهر النيل الرئيس، وقد كانت تعمل، بالإضافة للبخار، بمجاديف جانبية تمت إضافتها فيها للتمكن من عبور تلك الجنادل في السودان، ويبلغ طول الواحدة منها 26 متراً وقوة محركها أربعين حصاناً⁽⁹⁾.

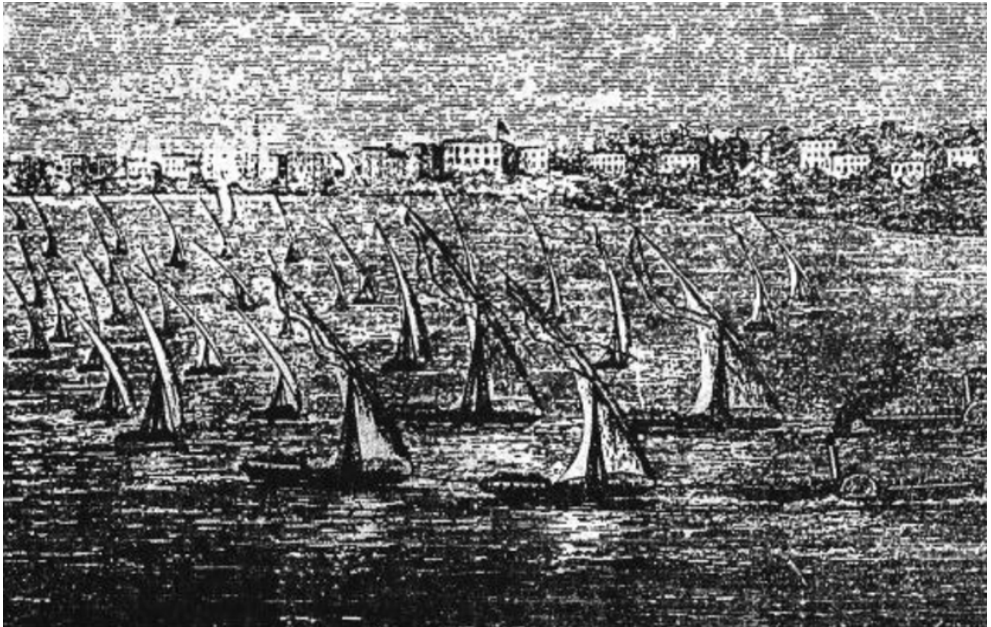
وعندما وقع الاختيار على صمويل بيكر من قبل الخديوي إسماعيل في العام 1870م بغرض ضم بحر الغزال وخط الاستواء ومحاربة تجارة الرقيق واكتشاف منابع النيل الأبيض في تلك الجهات، قام بيكر بحمل باخرتين عبر الجمال من مصر إلى السودان، وذلك بعد أن تمكن من تقطيعهما إلى أجزاء وهما: الخديوي ونيانزا، ولم يتمكن بيكر من تجميع واستخدام هذه البواخر بسبب انتهاء فترة خدمته في السودان، وبعد أن حضر غردون باشا إلى السودان بعد موافقته على العمل تحت خدمة الخديوي إسماعيل تحرك نحو مناطق النيل الأبيض وحمل معه الباخرتين لمنطقة البحيرات، وقد بقيتا هناك حتى قيام الثورة المهدية⁽¹⁰⁾.

تحرك غردون نحو خط الاستواء من قصر راسخ الذي يقع على الضفة الشرقية للنيل الأزرق، وقد تم إعداد الحملة التي تحركت على أربع بواخر هي: البوردين، وتلحوين، والصافية، والمنصورة، ويقال إن الباخرة الخامسة هي الخديوي والتي أبحر عليها غردون نحو الجنوب، ومعه إبراهيم فوزي وعساكره المسلحين بالأسلحة النارية، وبعد مسيرة سبعة أيام وصل الجميع إلى فشودة⁽¹¹⁾.

هناك اختلاف بين إلياس الأيوبي وعبد الله حسين حول عدد البواخر التي تحركت مع غردون إلى خط الاستواء، حيث يقول الأيوبي أنها باخرتين ويقول عبد الله حسن إنها أربع بواخر، ويُرجح رأي عبد الله حسين لأن عدد قوات غردون والمهمة التي أوكلت إليه تحتاج لأكثر من باخرتين.



نقل أجزاء السفن على ظهور الإبل من مصر إلى السودان
بغرض فتح إقليم خط الاستواء



الأسطول النيلي الذي تحرك من الخرطوم في 8 فبراير 1870م
والذي يتكون من ثلاثين سفينة شراعية وباخرتين.



صمويل بيكر

مما سبق نجد إن البواخر التي ظهرت أسمائها في سجلات ومصادر ومراجع الحكم التركي- المصري في السودان قد كانت ستة عشر باخرة مختلفة الأحجام والمهام، من تلك المهام:

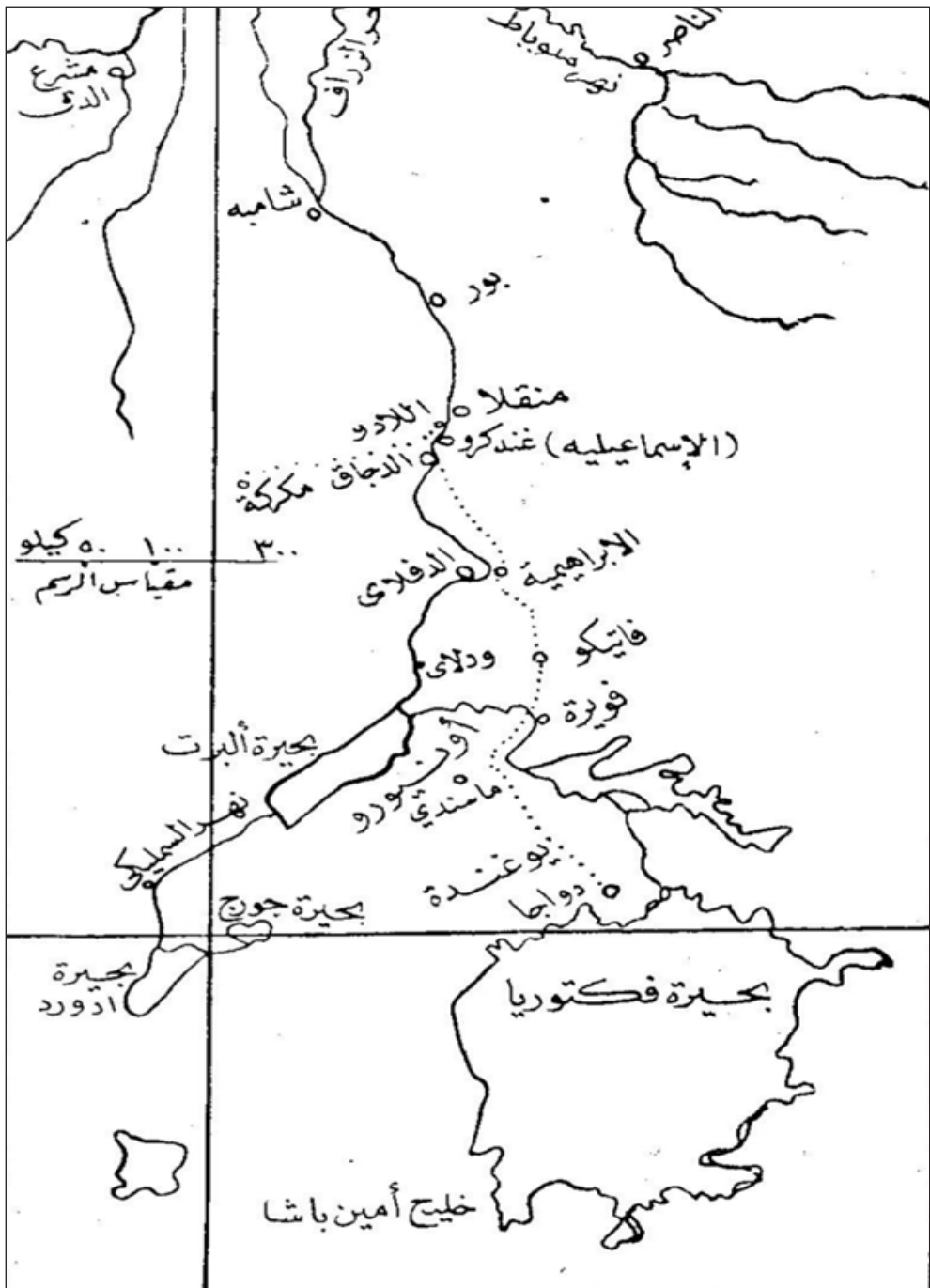
- العمل على اكتشاف منابع النيل الأبيض.
- تسهيل نقل السلع والبضائع من مناطق جنوب السودان، ثم بعد ذلك يتم شحنها إلى الخرطوم، ثم إلى مصر.

- محاربة تجارة الرقيق عبر هذه السفن وتحديدًا في المناطق الوعرة من جنوب السودان ومنطقة البحيرات.
- تسهيل عملية نقل الجنود والإداريين إلى أعالي النيل وبحر الغزال وغيرها من المناطق.
- المساعدة في إدارة المناطق البعيدة من خلال نقل أخبارها ونقل المهمات إليها.

وقد تم استخدام عدد من البواخر في نقل قوات حملة الشلالى للقضاء على المهدي في قدير، حيث غادرت الحملة الخرطوم في منتصف جمادى الأولى 1299هـ/مارس 1881م، نحو فشودة ومنها إلى قدير⁽¹²⁾.

وبعد أن سيطرت الدولة المهدية على السودان تمكنت من الاستيلاء على ثمانية بواخر، وهي التي اعتمدت عليها في القيام بالعديد من المهام في مختلف بقاع الدولة.

يذكر أنه وبعد تحرير الخرطوم وفي يوم الجمعة 13 ربيع الثاني 1302هـ/ 1 فبراير 1885م، ركب الإمام المهدي وبعض القادة على ظهر الباخرة الإسماعلية وعبروا بها من أم درمان نحو الخرطوم المدينة المحررة، وصلى صلاة الجمعة هناك وهي أول جمعة يصلها المهدي هناك، ثم تحرك بعد ذلك ناحية مقر الحكمدارية أو قصر غردون، وكلف الخليفة عبد الله بتشديد المراقبة على الذخيرة التي غنمها المهدية بعد تحرير المدينة، كما كلف شخص يدعى عبد الله عبد الرحيم بأن يقوم بتعبئة البارود وحصر وإصلاح الأسلحة التي تمت السيطرة عليها من الخرطوم⁽¹³⁾.



المناطق التي وصلتها البواخر في جنوب السودان ومنطقة البحيرات

الباحرة البوردين :

تُعد الباخرة «البوردين» من أهم البواخر التي دخلت السودان، وقد عاصرت ثلاث فترات تاريخية مختلفة في السودان، هي: الخديوية المصرية، والمهدية، والحكم الثنائي. تم بناء الباخرة البوردين بطلب من الخديوي إسماعيل في العام 1863م في حوض الأخوين (سامودا) المخصص لبناء السفن على نهر التايمز، وصُنِع محركها بقوة 40 حصاناً بواسطة جون بن، ويبلغ طول الباخرة البوردين 40 قدماً وعرضها 12 قدماً، وتُبحر بسرعة 10 عقد، وقد تم تخفيض سرعتها في العام 1884م إلى 4 عقد، ويتكون هيكل الباخرة من الحديد الصلب الذي يمتاز بقوته، وهي باخرة بخارية وصلت إلى مصر في شكل قطع من بريطانيا، ثم تم نقلها إلى السودان للعمل في نقل البضائع من المناطق الجنوبية بين جوبا والرجاف، ثم الخرطوم. وتم استخدام الباخرة من قبل صمويل بيكر وغردون باشا، وبعد أن أصبحت ضمن أسطول دولة المهدية تم استخدامها في نقل الجنود والغالل والبريد، وقد وجدت اهتماماً كبيراً من الأمير يعقوب وبيت المال، حيث كانت تتم صيانتها بصورة دورية، بعد سقوط الدولة المهدية استخدمتها الإدارة البريطانية كسجن لقادة ثورة 1924م، وهي الآن تربض بالقرب من طابية سجن السائر بأم درمان لتحكي للناس الكثير من التاريخ والمغامرات في مختلف مناطق السودان عبر ثلاث حقب مختلفة، وهي الخديوية المصرية، والمهدية، والحكم الثنائي.

ومن المهام التي تم إنجازها على ظهر الباخرة البوردين منذ أن دخلت إلى المياه السودانية:

- نقل العديد من السلع والبضائع من جنوب السودان إلى الخرطوم.
- الإسهام في نقل سن الفيل المصادر من تجار الرقيق في جنوب السودان.
- الإسهام في خدمة كل من صمويل بيكر، وغردون باشا، وأمين باشا في جنوب السودان.
- وصل بها غردون باشا في العام 1874 إلى فشودة.
- في العام 1878م أبحر بها جسي الإيطالي إلى جنوب السودان في مهمة حربية.
- في يناير 1881م أسهمت الباخرة البوردين في إنقاذ القائد جسي الإيطالي في منطقة السدود بجنوب السودان (14).



شارلس جورج غردون- غردون باشا

بعد إحكام الإمام المهدي الحصار على الخرطوم بغرض تحريرها قام غردون باشا بتحويل السفن التي بحوزته، والتي من بينها السفينة البوردين في الخرطوم، إلى سفن حربية مستفيدة من قوتها، وقام بتزويدها بالمدافع والأسلحة النارية، وقام في سبتمبر من العام 1884م بإرسال خمس سفن وهي: البوردين، وتل حوين، والصافية، والتوفيقية، والمنصورة إلى الممتدة بقيادة خشم الموس

باشا ونصحي باشا وشخص آخر يدعى عبد الحميد ود أحمد،
وقد كُلفت هذه القوة بالآتي:

- مناوشة قوات الأنصار بين المتمة والخرطوم.
- استقبال حملة الإنقاذ.

وقد تعرضت قوات خشم الموس لهجمات الأهالي المرابطين حول
النهر، وقد كان غردون باشا ينتظر مجيء هذه الحملة وهو في غاية
القلق، وعلى الرغم من وصول طلائع الحملة إلى الخرطوم إلا أنها
وصلت بعد يومين من مقتل غردون وتحرير المدينة في 1302هـ/26
يناير 1885م⁽¹⁵⁾.

وبعد وصول البواخر إلى جزيرة توتي وتأكد مقتل غردون باشا
أمر تشارلس ولسون قائد حملة الإنقاذ بأن ترجع البوردين وتل
حوين إلى المتمة مرة أخرى، وذلك هرباً من نيران المدفعية التي
انهمرت عليهم، وفي الطريق نحو المتمة عبر النيل اصطدمت
الباخرة البوردين وتلتها تل حوين بصخور جنادل شلال السبلوقة،
فهجرتهما القوات وتمكنت قوات الأنصار من السيطرة على البردين
وضمها لأسطول المهديّة البحري. وبعد نهاية الدولة المهديّة تمكنت
قوات كتشنر من السيطرة على الباخرة البوردين، وتم استخدامها
ضمن السفن الأخرى في فترة الحكم الإنجليزي - المصري للقيام
بعدد من المهام، منها:

- حمل مواد البناء بين الخرطوم وأم درمان.
- نقل الحطب من مناطق تجميعه على النيل الأبيض.

- وبحلول العام 1906م تم إيقاف السفينة البوردين عن العمل وذلك لتكلفة التشغيل العالية من حطب الوقود ولكنها كانت تقوم ببعض المهام عند الضرورة مثل:
- نقل الأخشاب.
- ترحيل المساجين بين جوبا والرجاف.
- تخزين البترول في فترة الحرب العالمية الثانية.
- تم استخدامها كمعتقل للطلبة الحريين الذين خرجوا في مظاهرة إبان ثورة 1924م وهم: صالح حسين خليفة، إسحق شداد، محمد عبد العظيم خليفة، عبد الله مبروك خليل، مصطفى بابكر الشفيق، حسن أحمد يسن، عوض أحمد سالم، محمد فضل المولى الشناوي، جمعة مرسال أرياب، الطاهر شداد، أبوبكر أحمد بابكر، الشريف منصور سرور، علي محمد الأرناؤوطي، محمد العوام، رمضان عبد الخير، عوض إبراهيم أبو رفاص، مزمل على دينار، علي أبو سن. وقد غنت لهم نساء السودان في فترة حبسهم.

يا حليل الطير الرحل * والتلامذة السكنوا البحر⁽¹⁶⁾

وبحلول العام 1930م تم ترميم الباخرة البوردين وتمت إعادتها إلى حالتها التي كانت عليها عند حصار الخرطوم. وفي يوم 26 يناير 1935م الموافق الذكرى الخمسين لمقتل غردون باشا ظهرت البوردين في أجمل صورة وتم عرضها قبالة قصر الحاكم العام بالخرطوم،

وأصبحت قبلة سياحية مهمة للسياح وتحديداً في فصل الشتاء،
وقد غنى لها الفنان السوداني حسن عطية حيث قال:

جنى البوردين حلي فوتي * سكونكم وين جزاير توتي
ويقصد بجنى البوردين (معدية) شمبات شمال الخرطوم بحري
وهي باخرة صغيرة مقارنة بالبوردين⁽¹⁷⁾.

يمكن القول إن الباخرة البوردين تُعد من أميز البواخر التي عملت
في السودان طوال ثلاث فترات تاريخية مختلفة من تاريخ السودان،
وهي الخديوية المصرية (1821-1885م)، والدولة المهدية (1885-
1898م)، والحكم الثنائي (1899-1956م).



الباخرة البوردين في النيل الأزرق في فترة الحكم التركي 1869م



الباخرة البردين على شاطئ النيل الأزرق في مدينة أم درمان 2024م

هوامش الفصل الثاني

- (1) مكّي شبّكة، السودان عبر القرون، ط2، دار الجيل بيروت، 1991م ص708.
- (2) أحمد أحمد سيد أحمد، مرجع سابق، ص136.
- (3) المرجع نفسه، ص137.
- (4) المرجع نفسه، ص138.
- (5) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، (1821-1955م)، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، 2002م، ص111.
- (6) المرجع نفسه، ص111.
- (7) المرجع نفسه، 112
- (8) الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض (النيل الأبيض) الصادر بها أمر ساكن الجنان محمد علي والي مصر، بقيادة ربان الفرطاقة البكباشي سليم قبودان، ملخص من المجموعة الرسمية للجمعية الجغرافية في عددها الصادر في يوليو سنة 1842م، نقلها إلى اللغة العربية، محمد مسعود، مكتبة مدبولي، القاهرة، (ب. ت.)، ص8.
- (9) ويكيبيديا، الباخرة البوردين.
- (10) إلياس الأيوبي، مرجع سابق، ص462-463.
- (11) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 القاهرة، 140-141.

- (12) محمد بن أحمد الداه الشنقيطي، مرجع سابق، ص 14-15.
- (13) المرجع نفسه، ص 66.
- (14) ويكيبيديا، الباخرة البوردين، مرجع سابق.
- (15) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2012م، ص 151.
- (16) ويكيبيديا، مرجع سابق.
- (17) المرجع نفسه.

الفصل الثالث

المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) في السودان

الفصل الثالث

المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) في السودان

شكَّلت المطبعة على مستوى العالم نقطة تحول وحدثاً مهماً في وصول الكلمة المكتوبة لأعداد كبيرة من الناس، وقد أدى اختراع الطباعة إلى انتشار الكلمة، وزادت النسخ المطبوعة حيث كانت قبل ذلك عبارة عن نسخ محدودة تنسخ باليد، والمتابع لتاريخ الطباعة يجد أنها عُرِفَت منذ الحضارة البابلية في العراق، ويُرجَّح أن الحضارتين الصينية والكورية هما أول من استخدم الحروف المفصَّلة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ولكنها ظلت مقتصرة عليهما فقط ولم تخرج للعالم.

وعندما تم اكتشاف حروف الهجاء المنفصلة المسبوكة من النحاس في أوروبا على يد يوحنا جوتنبرج عام 1456م أحدث هذا الأمر ثورة كبيرة في مجال الطباعة، ثم انتقلت الطباعة بعد ذلك إلى معظم أنحاء أوروبا ثم منها إلى البلاد العربية في القرن السابع عشر، حيث تم إنشاء أول مطبعة في سوريا في العام 1704م لكنها لم تعمر كثيراً، ثم الأستانة في العام 1728م، ثم لبنان في العام 1733م، ثم أدخل نابليون بونابرت مطبعة حديثة مع احتلاله لمصر في العام 1798م، والتي قامت بطباعة أوامر الحكومة الجديدة ومنشوراتها، ثم قامت بعد ذلك بطباعة الكتب العربية باستخدام الحجر، ثم كانت بغداد في العام 1830م، ثم اليمن 1877م. وفي

العام 1821م قام محمد علي باشا بإنشاء أول مطبعة هناك عُرفت بمطبعة (بولاق) وهي المطبعة الثانية التي ترفعها مصر بعد مطبعة نابليون في العام 1798م، ثم بعد ذلك ظهرت أول مطبعة في الحجاز في العام 1882م، وارتبط دخول المطبعة إلى السودان بحكم محمد علي باشا وخلفائه (1821-1885م) ⁽¹⁾.

المتتبع لتاريخ الطباعة في البلدان العربية يجد أنها دخلت إلى لبنان في العام 1610م، وهو بذلك يصبح أول بلد عربي يعرف الطباعة، وقد تم تأسيس هذه المطبعة في دير (قزحيا) أحد أديرة الطائفة المارونية، وتوقفت هذه المطبعة بعد ذلك، وفي مصر نجحت مطبعة بولاق في عهد محمد علي باشا في أن تصدر أول كتاب لها وهو قاموساً باللغتين العربية والإيطالية، وفي الفترة من 1821-1842م تمكنت المطبعة من إصدار (252) كتاباً، بعدد يفوق ما أُنتج في جميع أنحاء الإمبراطورية العثمانية منذ ظهور الطباعة فيها وحتى العام 1842م، وبالإضافة للكتب أصدرت المطبعة الصحف وغيرها من المنشورات، وهذا ما ميزها عن جميع المطابع في المنطقة في ذلك الوقت ⁽²⁾.

المطبعة الأميرية في السودان (مطبعة الحجر) في عهد الخديوية المصرية في السودان

بسط محمد علي باشا سيطرته على السودان في العام 1821م، بعد أن تمكنت قواته من السيطرة على كل الأراضي الواقعة من دنقلا شمالاً حتى فازوغلي جنوباً، وهي الأراضي التي كانت واقعة تحت سلطة سلطنة الفونج 1504-1821م، وكذلك نجحت قوات الباشا في السيطرة على إقليم كردفان الذي يُعد من أهم أقاليم السودان في عصوره المختلفة، وبذلك وضع محمد علي باشا جميع موارد وخيرات هذه البلاد تحت تصرفه المباشر، وذلك لتحقيق طموحاته ورغباته الشخصية، ولتسهيل عملية إدارة هذه البلاد عمده الباشا إلى إدخال النظم الحديثة في الإدارة والتنظيم من أجل الاستفادة من موارد وثروات البلاد.

لا يُعرف تاريخ محدد لدخول المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) إلى السودان، لكنها كانت من ضمن أهم مقتنيات الحكم التركي - المصري في الخرطوم، ويُرجح أنها دخلت إلى السودان في عهد الخديوي إسماعيل رائد عملية التحديث والتطوير في السودان. وقد كان مرفق معها معمل لصناعة الورق الذي عمل على تغطية احتياجات الحكومة اليومية من أوراق ودفاتر، وقد عملت الحكومة على تنظيم جميع شؤونها عبر هذا الورق، وكان لا يتم سماع الشكاوى ولا تتم أي معاملة حكومية إلا عبر هذه الأوراق التي كانت تعرف باسم أوراق (الدمغة) ⁽³⁾.

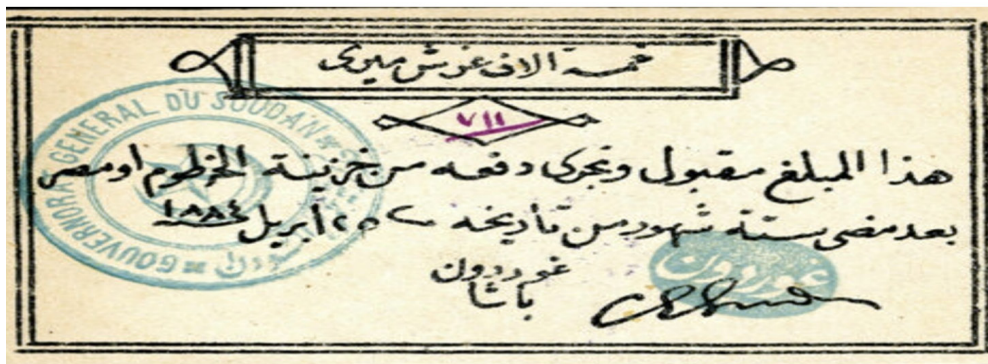


الخدوي إسماعيل

وعند اندلاع الثورة المهدية في السودان (1881-1885م) تم استغلال المطبعة من قبل الحكمدارية في طباعة المنشورات والرسائل الدعائية التي تهاجم الإمام المهدي، وبعد أن أحكم الأنصار حصارهم على العاصمة الخرطوم 1884م استخدم غردون باشا المطبعة لطباعة

سكوك مالية عرفت باسم (سكوك غردون) أو سندات غردون بديلاً للعملات المعدنية، وكذلك تمت طباعة الأذونات في هذه المطبعة⁽⁴⁾.

وقد كانت سندات غردون أو العملة التي قام غردون بإصدارها في الخرطوم وتمت طباعتها في مطبعة الحجر عبارة عن سندات مستحقة الدفع بعد ستة أشهر من الإصدار، وذلك بغرض المحافظة على الاقتصاد المحلي بسبب الحصار الذي ضربته قوات المهديّة على الخرطوم، وكان يرمي أيضاً من إصدار هذه العملة إلى صرف مرتبات الحاميات، وقد أوضح في رسالة مؤرخة في 26 أبريل 1884م أنه أصدر أوراق نقدية بقيمة 2500 جنيه قابلة للاسترداد في غضون ستة أشهر من خزانة الخرطوم أو القاهرة، والفئات النقدية تتراوح بين 1 قرش إلى 5000 قرش بالإضافة إلى 50 جنيه⁽⁵⁾.



السندات المالية التي قام غردون باشا بطباعتها في مطبعة الحجر 1884م

مطبعة الحجر في الدولة المهدية

(1302 - 1316 هـ / 1885 - 1898 م)

تم نقل المطبعة من الخرطوم إلى بيت الأمانة في أم درمان، بعد تحرير الخرطوم في (26 يناير 1885م)، وأصبحت من ضمن الأقسام التي يضمها بيت الأمانة وهي: قسم المطبعة، وقسم الهجانة. وتُعد المطبعة من أهم الأقسام التي ارتبطت بنظام البريد، حيث اعتمدت عليها الدولة المهدية بصورة رئيسة، كما أنها قامت بطباعة راتب المهدي، وبعض الرسائل والخطابات المهمة التي تم تحريرها من قبل الخليفة عبد الله، أما الهجانة فتُعد العمود الفقري لحركة البريد في الدولة المهدية، وذلك لسرعتها وقدرتها على الوصول لمختلف مناطق السودان⁽⁶⁾.



الإمام محمد أحمد المهدي

غنمت قوات المهديّة، بالإضافة لمطبعة الحجر، كميات كبيرة من الورق كانت مودعة في مخازن الحكومة، بالإضافة للمزيد من الأوراق التي وجدت في الدور ومنازل التجار. وقد تم استتساخ الأوامر بالمطبعة، كما عملت المهديّة على إلحاق كل شخص له معرفة بالطباعة أو التجليد بإدارة المطبعة، فأصبح الأمير مختار بادي - وهو من دناقلة مدينة بارا- أميناً على المطبعة، ولم يمض زمن طويل حتى دارت المطبعة وأنتجت مئات النسخ ذات الطابع الموحد والنص المتفق عليه، والتي غالباً ما كان يتم توزيعها بواسطة عمال البريد (7).

ومن الكُتّاب الذين اشتهروا بالعمل في المطبعة مع الأمير مختار بادي: محمد ذهني، وحسن سالة، ومحمد الأمين، وعمر الأزهري. وقد كانوا يتقاضون مرتبات عينية ونقدية (8).

وفي العام (1307هـ/1889م) قامت المطبعة بطباعة مصنف يحتوي على عدد من المنشورات التي قام الإمام المهدي بكتابتها في حق الخليفة عبد الله، وكان الغرض من طباعة هذه المنشورات تأكيد مكانة الخليفة عبد الله، وهي رداً على هجوم الأشراف عليه، وتوالت الطباعات من هذا المصنف، وبحلول شهر رمضان سنة (13014هـ/1896م) - صدر مصنف ثاني يحتوي على عدد من المنشورات التي كتبها المهدي عن الخليفة عبد الله ومنصبه، وكذلك اشتمل على عدد من المحررات التي وجهها المهدي إليه، وكان ذلك رداً على معاودة الأشراف نزاعهم مع الخليفة عبد الله (9).

ومن أهم الخطابات التي طبعت في (مطبعة الحجر) مجموعة من خطابات الدعوة التي أرسلت إلى أقاليم السودان المختلفة في حياة الإمام المهدي، وإلى خارج السودان، وتلك التي صدرت من المهدي إلى مصر وبلاد شنقيط ونيجيريا. وبعد وفاة المهدي طبعت عدد من المنشورات في عهد الخليفة عبد الله والتي منها الإنذارات التي صدرت إلى الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا، ووالي مصر والسلطان العثماني، كما استمرت عملية طباعة الخطابات المهمة في مطبعة الحجر حتى نهاية الدولة المهدية، وتقف دار الوثائق القومية بالخرطوم شاهدا على كمية الخطابات والمنشورات الصادرة والواردة على امتداد تاريخ المهدية، الثورة والدولة⁽¹⁰⁾.

ومن المنشورات التي تمكنت مطبعة الحجر من القيام بطباعتها:

- منشورات المهدية التي طبعت في العام (1314هـ / 1896م) وقد طبعت بأمر الخليفة عبد الله.
- منشورات الخليفة عبد الله.
- راتب الإمام المهدي.
- مؤلفات الشيخ الحسين الزهراء والتي منها نصيحة العوام، وكتاب الآيات البينات وغاية الغايات.
- كتاب سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، وكتاب الطراز المنقوش بذكرى قتل يوحنا ملك الحبوش للشيخ إسماعيل عبد القادر الكردفاني⁽¹¹⁾.
- رسالة الحسن سعد العبادي⁽¹²⁾.
- الرسائل العامة والخاصة للعامة والأعيان.

- الأحكام الفقهية.
- رسالة العوام، منشور منع الظلم للخليفة عبد الله.
- كتاب الزوجة في الميراث.
- كتاب النصائح المرسلة إلى الجهات البحرية.
- منشور ترك الأسلحة النارية، وغير ذلك من المنشورات⁽¹³⁾.

لقد أسهمت مطبعة الحجر في دفع الحركة الفكرية في الدولة المهدية بصورة كبيرة؛ إذ تمت طباعة العديد من الكتب والمنشورات والرسائل والمحركات، وقد كان صدور الأجزاء المطبوعة للمنشورات فتحاً في علم التصنيف الذي كان غير معروفاً لدى العديد من الأنصار في ذلك الوقت، وكانوا في بداية الأمر ينسخون ما يُطلب منهم فيما اتفق لهم من ورق⁽¹⁴⁾.

وبالإضافة لهذه المطبوعات نجد أن مطبعة الحجر قامت بطباعة العديد من المؤلفات الشعرية لمؤيدي المهدية، وبعض المدائح التي مجدت المهدي والمهدية، وهي من المؤسسات الخدمية المهمة في الدولة المهدية، وقدمت خدمات جليلة للدولة مازال منتوجها متاح للمختصين والباحثين والمهتمين بتاريخ السودان بفتراته المختلفة التركية والمهدية والحكم الثنائي.



مطبعة الحجر

وعلى الرغم من الكميات الكبيرة من الورق التي تحصلت عليها الدولة المهدية من الحكم التركي - المصري، والتي ساعدت كثيراً في تدوين كل كبيرة وصغيرة، إلا أنها واجهت عملية شح في الورق، خاصة وأنه لا يوجد مصدر آخر للورق سوى الذي غنمته المهدية من الحكم التركي - المصري، وقد شدد الخليفة عبد الله بضرورة المحافظة عليه، وألا يتم صرفه، وألا تفتح مخازنه إلا بإذن خاص منه. وتتضح صورة الاستهلاك من الورق في الدولة المهدية، وتحديدًا في شهر صفر من عام (1316هـ / 1898م) عندما أفادت مصلحة العمارة والتي كانت تشرف على مباني الدولة بأنها قد استهلكت خمسون فرخاً من الورق في حين استهلكت الترسانة الحربية 200 فرخاً⁽¹⁵⁾.

ومما يحسب تاريخيا للمطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) أنها قد خدمت أيضاً في فترة الحكم الثنائي، ونجحت في طباعة الأعداد الأولى من صحيفة (الغازيتة) ⁽¹⁶⁾، وهي أول صحيفة حكومية في فترة الحكم الإنجليزي - المصري 1899-1956م ⁽¹⁷⁾.

SUDAN GOVERNMENT GAZETTE.

غازيتة الحكومة السودانية

PUBLISHED BY AUTHORITY

الصادرة بتصريح

العدد ٢٦٦

Khartoum, 16th November, 1914.

الخرطوم في ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٤

Price 2 P.T.

من الصفحة فرشان صاع

NOTICE

Having regard to the state of war now existing it has been thought advisable to reaffirm that the Country is under Martial Law. The powers exercisable under Martial Law are intended to supplement and not to supersede the Civil Administration the officials of which will continue to exercise their functions and will under ordinary circumstances deal with all offences in the ordinary course of law.

(Signed) REGINALD WINGATE,

GENERAL.

Governor-General.

Khartoum,

14.11.1914.

PROCLAMATION.

WHEREAS under the agreements of the 19th January, 1899 and of the 10th July, 1899 between the British and Egyptian Governments relative to the future administration of the Sudan it was provided that until and save so far as it should otherwise be determined by Proclamation the Sudan should be and should remain under martial law but the powers so conferred on the Government have rarely been exercised.

AND WHEREAS owing to the present state of war now existing exceptional measures may be needed for securing the safety and defence of the realm and it is advisable to re-proclaim martial law.

القائمة

عراق الصوفي

اعلا ب

نظراً حالة الحرب الناشئة الآن قد استأنسب أن يؤدّد ثانية بان البلاد خاضعة للاحكام العرفية والغرض من السلطة الاستعمارية يقتضى الاحكام العرفية في لنكل الادارة المملكية لا تقل عنها فيستر موفظو الادارة الملكية في القيام بوظائفهم وينظرون في جميع الجرائم بالاحوال العادية على مقتضى الطريقة العادية التي يقتضيها القانون

(الامضاء) رجینلڈ ونجت

الحاكم العام

الخرطوم في اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٤

منشور

بما أنه يحتضن الوفاةين المؤرخين في ١٩ يناير سنة ١٨٩٦ وفي ١٠ يوليو سنة ١٨٩٦ بين الحكومتين البريطانية والمصرية بشأن إدارة السودان في المستقبل قد نص على أن تكون السودان وتبقى تحت الأحكام العرفية حتى وما لم يقرر خلاف ذلك بمشور ولكن هذه السلطة العرفية للحكومة لم تستعمل إلا نادراً

وبما أنه نظراً لحالة الحرب الحاضرة قد تدعو الحاجة الى اتخاذ وسائل استثنائية لاجل صيانة الامن في البلاد والدفاع عنها ومن المواقف اعادة نشر الاحكام العرفية

فبناءً عليه اتنا الجترال السر فرانس رجيند ونجت حامل نشان الحما
من الدرجة الاولى ونشان ككتوريا من الدرجة الاولى ونشان
مناظيل وجورج من درجة القران ونشان
محله انش ما ياتي :-

١ - تكون السودان تحت الاحكام
خلاف ذلك منشور واذا ذلك فالأجندار ما يقرره المجلس

مخلاف ذلك منشور وإذا ذاك فلا جندار ما يقرره المنصور

دار الوثائق القومية
National Records Office

موظفو المطبعة:

ذكر الدكتور بشير محيي الدين بأن مطبعة الحجر عمل بها عدد من الموظفين وهم:

- أمين المطبعة: وهو بدرجة أمير، وقد تقلد هذا المنصب مختار محمود بادي وكان يعاونه حسن ساتي.

- عمال المطبعة: ومن عمال المطبعة شخص يدعى محمد زهانة، وهو كبير عمال المطبعة، ومن الموظفين الذين عملوا بمهنة تجليد الكتب بالمطبعة شخص يدعى الجاك السيوي، وهو رئيس قسم التجليد.

- المدققين والمصححين: ومن المدققين الذين عملوا في وظيفة مدقق ومراجع للمطبوعات بالمطبعة شخص يدعى عمر الأزهري.

- أمين المخزن بالمطبعة.

واتسمت المطبوعات الأولى التي تم إصدارها من المطبعة ببعض الأخطاء نتيجة التسرع والاستعجال في النشر، ولكن بعد ذلك تم تدارك هذه الأخطاء⁽¹⁸⁾.

بالإضافة لمجموعة الموظفين التي تم ذكرها في المطبعة كان هناك إبراهيم المطبعجي وهو الكاتب الرئيس في المطبعة، وتم اسناد مهمة إعداد النصوص ومراجعتها والإشراف على طباعتها لأبي القاسم أحمد هاشم، وكان يعاونه في هذه المهمة المدثر إبراهيم الحجاز، وأحمد علي قاضي الإسلام، وقد شكّلت المطبعة وسيلة الإعلام الرسمي للدولة المهدية، وأصبحت وسيلة الاتصال الوحيدة بين القادة والأمراء والخليفة عبد الله.

هوامش الفصل الثالث

- (1) محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن (1903-1953م)، ج1، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1996م، ص8-9.
- (2) عثمان سيد خليل، أثر الرسوم والضرائب على الطباعة في السودان، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 1435هـ/ يوليو 2014م، ص216-217.
- (3) محمد محجوب مالك، الخدمة الدينية في دولة المهديّة، مجلة الخرطوم، مجلة الثقافة العربية الأفريقية، العدد 8 السنة الثانية، مايو 1967م، ص35.
- (4) عثمان سيد خليل، مرجع سابق، ص216.
- (5) مازن ميرى، نقود حصار الخرطوم، المقتني العربي، مقال منشور، 2022/1/5م.
- (6) محمد محجوب مالك، الخدمة الدينية في دولة المهديّة، مجلة الخرطوم، مجلة الثقافة العربية الأفريقية، العدد 8 السنة الثانية، مايو 1967م، ص35.
- (7) محمد إبراهيم أبوسليم، الطباعة في المهديّة، مجلة الخرطوم، مجلة الثقافة العربية الأفريقية، العدد 12 السنة الثانية، سبتمبر 1967م، ص8.
- (8) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، مرجع سابق، ص86.

(9) تاج السر عثمان، كيف كانت أشكال المعارضة للمهدية 3/3 الراكوبة، 6 فبراير 2024م.

(10) المرجع نفسه، ص 10.

(11) تاج السر عثمان بابو، طبيعة وخصائص الدولة في المهدية.

(12) الحسن سعد العبادي: من قبيلة العبابدة المليكاب (الفقرا) تقلد إمارة حلايب وشلاتين من قبل المهدية في السودان، وقد تقلد هذه الإمارة عندما علم الخليفة عبد الله أن اللورد كتشنر يرغب في بناء قلعة في حلايب داخل الأراضي السودانية، فتخوف الخليفة من ذلك، وقد ذكر بأنه لا يرغب في قيام سواكن أخرى هناك، لذلك قام بإرسال الحسن سعد العبادي على رأس قوة من الهجانة إلى حلايب وتمكن من هزيمة قوات العدو، وبعد فترة من الزمان حدث خلاف بين الخليفة والحسن العبادي وقرر بموجبه الالتحاق برئاسة حملة الغزو الإنجليزي المصري في العام 1314هـ/1897م، وقد حاول ونجت رئيس قلم المخابرات هناك الاستفادة من الحسن العبادي في كشف المزيد من المعلومات لكنه تعلل بعدم معرفته بالكثير من الأمور في الدولة المهدية، وبعد سقوط المهدية رجع إلى أهله في أبي حمد وعمل بالزراعة وتدريس العلوم الدينية، ثم أصبح قاضياً لدنقلا، ثم بعد ذلك انتقل إلى الحجاز. وفي العام 1322هـ/1905 تولى الحسن سعد العبادي في مدينة ينبع بالمملكة العربية السعودية دولت يوسف أحمد إبراهيم، أمراء المهدية والثبات على المبدأ (دراسة وثائقية لمواقف أمراء المهدية 1881-1898م)، للمؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول رمضان 1439هـ/ مايو 2018م، ص 119-121.

(13) أسامة عبد الله محمد الأمين، تاريخ التعليم في الدولة المهدية في السودان، (1298-1315هـ/1881-1898م)، مجلة جامعة النيل الأبيض ص118.

(14) عثمان سيد خليل، مرجع سابق، ص217.

(15) محمد إبراهيم أبوسليم، الطباعة في المهدية، مرجع سابق، ص9.

(16) الغازيتة: هي صحيفة رسمية تنشر فيها القوانين والقرارات الحكومية، يعود أصل الكلمة إلى اللغة الإيطالية *gazzetta* والغازيتة.

(17) عثمان سيد خليل، مرجع سابق ص218.

(18) البشير أحمد محيي الدين، مطبعة الحجر في الدولة المهدية، محاضرة صوتية على التلجرام.

الفصل الرابع

ملاحم بدايات البريد في الدولة المهدية

الفصل الرابع

ملاح بدايات البريد في الدولة المهدية

اندلعت الثورة المهدية في السودان بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي في العام (1299هـ/1881م)، وقد قام المهدي بتحرير عدد من الخطابات بصورة سرية لبعض أحابيه وأصدقائه ومن يثق بهم من مشايخ الطرق الصوفية يدعوهم فيها للانضمام للمهدية، ولكن أحد هذه الخطابات وقع في يد الحكومة الأمر الذي عَجَّلَ بالمواجهة بين الطرفين، وكان نتاج وقوع هذا الخطاب في يد الحكومة الدخول في أول صدام بين الطرفين، فكانت معركة الجزيرة أبا في العام (1299هـ/1881م). وتقع الجزيرة أبا على النيل الأبيض جنوب الخرطوم، ثم بعد ذلك تحرك المهدي بقواته بعد تحقيقه لنصر حاسم وسريع ناحية منطقة (قدير) في جبال النوبة في جنوب كردفان، وتُعرف هذه المنطقة بتحصيناتها الطبيعية التي وفَّرت حماية للمهدي وأتباعه، وفي قدير تمكن المهدي من تحقيق الانتصارات الحاسمة على قوات محمد الشلالي وراشد بك أيمن مستفيداً من الحماس الكبير لدى قواته ورغبتهم في تحقيق النصر ضد قوات الحكومة، ثم بعد ذلك تمكنت قوات المهدي من التحرك ناحية مدينة الأبيض حاضرة إقليم كردفان، وبعد الخسارة الكبيرة التي منيت بها قوات المهدية تمكن المهدي من تجميع صفوف قواته وعمل على تغيير استراتيجيته العسكرية حيث تحول من أسلوب

الهجوم إلى أسلوب الحصار، وهو الأسلوب الذي تمكن من خلاله تحرير مدينة الأبيض، ثم أصبح الحصار بعد ذلك أحد سمات قوات المهدي التكتيكية.

ونلاحظ إن المهدي قد أنتهج أسلوب الرسائل المكتوبة بغرض إيصال دعوته لمن يرغب من الناس، وهو أسلوب عملي ويسهم في إيصال الفكرة والرسالة بصورة أسرع.

عندما بسط المهدي سيطرته على مدينة الأبيض بدأت وتيرة المراسلات في ازدياد بينها والعاصمة الخرطوم وغيرها من المدن، ومن الخطابات التي وصلت إليه خطاب من غردون باشا و(هانسل) قنصل النمسا في الخرطوم وغيرهم، كما وصلت عدد من الرسائل للأسرى الأوروبيين الذين تم القبض عليهم من قبل قوات المهدي وتم إرسالهم إلى الأبيض، وكذلك وصلت عدد من الرسائل لأعيان المدينة من الخرطوم. وقد كانت هذه الخطابات تحت مراقبة استخبارات المهدي التي عملت على مراقبتها بصورة دقيقة وتمكنوا من إخبار المهدي بذلك. وعندما وصلت رسالة من مصطفى (ياور) مدير دنقلا إلى عثمان طنجي في الأبيض، يسأله عن صحة دعوة المهدي، تم استلام هذا الخطاب بواسطة اتباع المهدي وأرسل إليه على جناح السرعة، فما كان من المهدي إلا أن قام باستدعاء (عثمان طنجي) وسأله عن صحة الخطاب الذي بين يديه فذكر له أنه من مصطفى ياور مدير دنقلا⁽¹⁾.

ولاستمالة مصطفى ياور مدير دنقلا لصفوف المهدي كتب الإمام المهدي إليه ليخبره بتعيينه عاملاً على دنقلا، ولكن قرر مصطفى

ياور مواجهة قوات المهديّة في عدد من المعارك هناك وتمكن من الانتصار على قوات المهديّة بفضل الأسلحة النارية التي كانت بحوزته. كان الإمام المهدي يحاول من خلال دعوة مصطفى ياور إلى المهديّة إلى بسط سيطرته على مناطق دنقلا وما حولها، وبذلك يكون قد وضع يده على المنفذ الشمالي للسودان.

وأيضاً وصل خطاب من القنصل النمساوي (هانسل) في الخرطوم للإمام المهدي، وقد قام جورج استنامبولي باستلام هذا الخطاب، حيث طلب القنصل النمساوي في خطابه من المهدي إطلاق سراح القساوسة الذين تم القبض عليهم في مدينة الدنج في جبال النوبة في جنوب كردفان ومنهم الأب بونومي، والأب جوزف أور فلدر وغيرهم، وأنه سوف يتكفل بسداد المبلغ الذي يحدده كفدية لهم، وقد سُر المهدي كثيراً بهذا الخطاب، لكنه رفض فكرة أخذ جزية مقابل إطلاق سراح الأسرى الأوروبيين الذين وعدهم المهدي بتوفير الحماية لهم⁽²⁾.

وقد طلب الشخص الذي قام بحمل الرسالة من الخرطوم للأبيض من القساوسة الأوروبيين، كتابة ما يفيد بأنهم قد اطلعوا على الرسالة التي قام بإرسالها (هانسل) للمهدي في الأبيض، حيث قاموا بكتابة عدد من الخطابات للقنصل النمساوي في الخرطوم، وقد قام جورج استنامبولي بتسليمها للشخص الذي حضر من الخرطوم، وتوجه هذا الشخص بعد حمله لعدد من الرسائل من الأبيض متجهاً ناحية الخرطوم، وقد كانت استخبارات المهدي له بالمرصاد، وعند وصوله إلى منطقة (خُرسِي) بالقرب من مدينة بارا

التي تبعد مسافة يوم ونصف من الأبيض، تم القبض على حامل الرسالة، وبعد تفتيشه وجدوا الخطابات في قطعة من الخيش على ظهر الحمار، وتم اعتقاله وإحضاره للإمام المهدي في الأبيض⁽³⁾.

بعد ذلك انتشرت الأخبار في المدينة بأن مخابرات المهدي تمكنت من السيطرة على بريد كان مرسلًا من الأبيض ناحية الخرطوم، وتم استدعاء كل من الأب جوزف أور فالدر، والأب بونومي للخليفة محمد شريف ابن عم المهدي، وقد كان خطاب الأب جوزف فالدر باللغة الألمانية والأب بونومي باللغة الإيطالية. وقد سألهما الخليفة محمد شريف عن تلك الخطابات وهل تخصهم فأجابا بنعم، وتم إرسالهما للمهدي حيث أكدا له أن هذه الرسائل لا تحمل أي طابع سياسي، وقد استخدم جورج استتبولي المال لبعض التجار الأوروبيين لكيلا يقوموا بترجمة هذه الخطابات، وفي نهاية الأمر تمت ترجمتها واقتنع الإمام المهدي بأنها لا تحمل أي ضررٍ عليه⁽⁴⁾.

فكان جورج استتبولي متخوفاً من ترجمة هذه الخطابات التي يُرجح أنها كانت تحمل بعض التفاصيل عن أوضاع الأسرى في الأبيض، وبعد أن تمت ترجمتها وجد المهدي أنها لا تمثل أي تهديد له ولقواته، وأنها في نهاية الأمر أصبحت في يده الآن وليس هناك أي خوف منها.

وبعد ذلك قام القنصل النمساوي (هانسل) بكتابة خطاب آخر للمهدي في الأبيض، ولكن الإمام المهدي لم يفصح عن فحوى هذا الخطاب لكل من الأب جوزف أور فالدر والأب بونومي⁽⁵⁾.

وسط أجواء انتصارات الثورة المهدية المتواصلة في السودان منذ معركة الجزيرة أبا في العام 1881م وحتى قدير، وبعد أن بسطت بريطانيا سيطرتها على مصر قررت أن تستجلي الأوضاع على الأرض في السودان، لذلك قامت بإرسال الكولونيل ستيوارت، وهو ضابط بريطاني، ليكتب تقريراً مفصلاً عن السودان في 9 فبراير 1883م، وقد تمكن من إنجاز تقريره الأول من العاصمة الخرطوم والثاني من مصوع في 8 أبريل 1883م⁽⁶⁾، والتقريرين عبارة عن عمل استخباراتي على درجة عالية من الدقة، وقد وجد هذا التقرير الإشادة من الإدارة البريطانية، حيث شرح ستيوارت في التقرير الأول الأوضاع في السودان بكل شفافية وتجرد، وتناول في التقرير الثاني موارد وثروات السودان وعمل على شرحها بقدر كبير من التفصيل.

وفي أواخر عام (1301هـ / 1883م) وصل خطاب من شخص يدعى (ماركو بولي) بتوجيه من هكس باشا إلى كل من الأب جوزف أورفالدر والأب بونومي، يؤكد فيه على مهاجمة المهدي في الأبيض بواسطة جيش كبير، وقد كتبت هذه الرسالة بعد الانتصارات التي حققها هكس باشا على قوات المهدية في طريقه نحو الأبيض⁽⁷⁾.

ولكي يتمكن المهدي من معرفة التفاصيل الدقيقة عن خطة حملة هكس، كوّن المهدي فرساناً للاستطلاع، وذلك بعد اتساع مسرح معاركه. ومن واجبات فرسان الاستطلاع:

- ضمان انسياب المعلومات والأخبار عن تحركات هكس، وموقفهم وخططهم.

- السيطرة على أرض المعركة.

- العمل على مضايقة وإرهاب العدو، ومحاربته نفسياً.

وقد تكونت فرقة الاستطلاع من راكبي الخيول، حيث تكونت من 3000 فارس أغلبهم مسلحين بالبنادق تحت قيادة أبو قرجة وعبد الحليم مَسَاعِد وعمر إلياس أم برير والشيخ فضلوا أحمد. ⁽⁸⁾

لعبت الخيول دوراً مهماً في الاستطلاع وجمع المعلومات والأخبار والقتال في فترة الثورة المهدية، وقد واصلت في أداء هذه المهام في فترة الدولة المهدية أيضاً.



هكس باشا

في مارس من عام 1884م، وصل شخص من الخرطوم يحمل رسالة صغيرة، إلى الأب جوزف أور فالدر والأب بونومي من القنصل البريطاني (باور) كتب على الوجه الأول باللغة الإنجليزية وعلى

الوجه الثاني باللغة الفرنسية، وهي تقول: (... حظاً سعيداً غردون في الخرطوم...)، وقد طلب منه أيضاً توضيح أسماء الناجين من حملة هكس، وأسماء السجناء والأسرى الأوروبيين في كردفان، وقد قام الأب جوزف أورفالدر بالإجابة على كل هذه الأسئلة، وأرسلت للقنصل في الخرطوم⁽⁹⁾.

نجد أن القنصل البريطاني في الخرطوم قد اهتم بمعرفة تفاصيل ما جرى لهكس باشا، والدليل على ذلك طلبه من الأب جوزف أورفالدر كتابة هذا التقرير، وقد نجح القنصل في مهمته.

بعد ذلك وصلت إلى الرهد إحدى الفتيات وتدعى (مارييتا كومبوتي)، وقد تم إرسالها من قبل الأب جوزف أورفالدر إلى القنصل (هانسل) في الخرطوم، بغرض توضيح ما لحق بهكس باشا وقواته، وشرح مدى قوة المهدي، وأكد له استعجال أي شخص في الخرطوم بمغادرتها قبل وصول المهدي إليها، وقد قام القنصل هانسل بمساعدة (مارييتا) بكل ما تحتاج إليه في رحلتها مرة أخرى إلى الأبيض، كما حملها بعض الأدوية والملابس والنقود للأب جوزف ومن معه من الأوروبيين في معسكر المهدي، ولكنها وقعت في قبضة قوات المهديّة، وتم إطلاق سراحها بعد ذلك، وتمكنت من إيصال الخطاب إلى الأب جوزف أورفالدر مؤرخ بتاريخ (ربيع ثاني 1301هـ / يناير 1884م) من القنصل (هانسل)، تضمن قدراً من المعلومات، منها وصف حالة الخرطوم، وهزيمة بيكر⁽¹⁰⁾ باشا من قبل قوات عثمان دقنة، وأوضح لهم آمانياته بسيطرة الإنجليز على السودان، وإلا فالموت ينتظرهم، وأكد لهم أن حالتهم ميؤوس منها⁽¹¹⁾.



فالنتين بيكر

خطابات المهدي:

قام المهدي بإرسال العديد من الخطابات لزعماء القبائل ورجال الطرق الصوفية والزعامات الدينية لتوصيل دعوته داخل السودان، يطلب منهم الإيمان بمهديته والالتحاق به، وكذلك قام المهدي بإرسال عدد من الخطابات إلى خارج السودان مثل يوحنا ملك الحبشة، والملكة فكتوريا، والسلطان العثماني في الأستانة، والخديوي توفيق، كما قام المهدي بإرسال خطاب للسنوسي في ليبيا يدعو للانضمام إليه ويصبح خليفة عثمان بن عفان، كما قام بإرسال خطابات إلى أهل المغرب العربي (فاس) يدعوهم فيها إلى المهديّة.

بعد انتصارها، ورثت الدولة المهديّة كل أمجاد الخديوية في السودان؛ حيث أنها وجدت نظام إداري متكامل، وعملت على الاستعانة بالموظفين والكتبة الذين عملوا في فترة الحكم التركي - المصري في السودان، وكذلك استفادت بصورة كبيرة من مطبعة الحجر، ومصنع الذخيرة، والترسانة البخارية، كما أنها أبقت على النظام الإداري الذي كان قائماً في فترة التركيّة⁽¹²⁾.

ارتبط نظام البريد في الدولة المهديّة بالديوان، وقد عملت على إغلاق جميع مكاتب البريد التي كانت منتشرة في جميع أنحاء السودان عدا سواكن ودنقلا اللتان ظلّتا خارج سيطرة المهديّة حتى سقوطها في العام (1316هـ/1898م)، حيث كان يتم توزيع المحررات وإيصالها والمحافظة على سلامتها، وقد ظهر نظام ما يعرف بالحرف، وهو عبارة عن (حرف) يتم الاتفاق عليه بين الخليفة وبين الأمير أو العامل في العمالة المحددة، ويقوم بحمله ساعي البريد (الهجان)⁽¹³⁾،

الذي وقعت عليه مهمة حمل البريد بإعطاء هذا الحرف عند وصوله إلى المنطقة المحددة، وإذا لم يعطه الحرف يُعد الخطاب مزوراً، ومن الشروط التي يجب توافرها في رجل البريد في الدولة المهدية الذكاء ورجاحة العقل، فبالإضافة لحمل البريد كانوا يُعدون رجال البريد عيناً للخليفة على عماله، فهم الذين ينقلون له ما يدور في الأقاليم بكل صدق وتجرد، بشرط أن يكونوا من أصحاب الخبرة والدراية بالبلاد ليتمكنوا من كشف أخبار الأعداء، وأن يكون الهجان من أهل الثقة، وأن لا يعبروا بالمناطق ذات التوتر لكي لا تقع البوستة في يد معارضي الخليفة عبد الله، وفي كثير من الأحيان ولضمان سرعة وصول البريد كان يحدد لرجل البريد الطريق والمدة التي يجب أن يصل فيها، وقد كانت الرسائل توضع في مظارييف، وفي أحيان أخرى يتم طي الجواب في شكل مظروف ويُكتب عليه العنوان من الخلف، ومؤخراً أصبحت المظارييف تصنع في مطبعة الحجر⁽¹⁴⁾.

هوامش الفصل الرابع

- (1) جوزف أور فلدر، عشر سنوات في أسر المهدي، (1882-1892م)، (ت) عوض أحمد محمد الضو، مطبعة التمدن، الخرطوم، 2008م، ص74.
- (2) جوزف أور فلدر، مصدر سابق، ص76-77.
- (3) المصدر نفسه، ص77.
- (4) المصدر نفسه، ص82.
- (5) المصدر نفسه، ص82-83.
- (6) محمد فؤاد شكري، مصر والسيادة على السودان: الوضع التاريخي للمسألة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1946م، ص55-56.
- (7) جوزف أورفالدر ص77. ص83.
- (8) عصمت حسن زلفو، شيكان،، ص52.
- (9) جوزف أورفالدر، مصدر سابق، ص110.
- (10) فالنتين بيكر باشا: هو ضابط بريطاني أقصى من الجيش البريطاني لسبب ما، وهو شقيق صمويل بيكر المهندس البريطاني المعروف. خدم في تركيا وعندما تم احتلال مصر استقدمته بريطانيا لمصر بغرض إنشاء جيش مصري جديد، غير أن الضباط البريطانيين العاملين في الجيش والذين استقدموا لتدريب وقيادة الجيش المصري الجديد رفضوا الخدمة تحت ضابط أقصى من الجيش، وتعويضاً له رؤي إنشاء قوة من (الجندرمة) تحت قيادته، وكان الغرض من

هذه القوة غرض بوليسي لكنه عمل على تدريبها وتأهيلها على النسق العسكري، وامتدت واجباتها إلى حفظ الأمن في المدن المصرية الكبيرة مثل القاهرة والإسكندرية وبورسعيد، وقد ضُمَّت هذه القوة، بالإضافة للمصريين، عدداً من اليونانيين والإيطاليين، تم إرساله إلى شرق السودان، وقد شارك في الحرب ضد الأمير عثمان دقنة في شرق السودان وقُتل هناك، انظر مكي شيبة، السودان والثورة المهدية، (من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم)، ج3، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1984م، ص، 41-42.

(11) أر. ونجت، المهدية والسودان المصري، (ترجمة) محمد المصطفى حسن، الطبعة الثالثة، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2009م، ص 132.

(12) تاج السر عثمان بابو، طبيعة وخصائص الدولة في المهدية، 2017/7/17م، سودا نايل.

(13) الهجانة: هم رجال البريد الذين يركبون الإبل، وفرق البريد أو الهجانة شديدة الشبه في وظيفتها بفرق البريد في العهد الأموي والعباسي، انظر ب. م. هولت، مرجع سابق، ص 280.

(14) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط2، دار الجيل، بيروت، 1981م، ص 90-91.

الفصل الخامس

كُتَابُ الرِّسَالِ فِي الدَّوْلَةِ الْمَهْدِيَّةِ

الفصل الخامس

كُتَاب الرِّسَالِ

في الدولة المهدية

كان لكل شخص يتولى أمرا من أمور الدولة المهدية كاتب خاص، أو مجموعة من الكُتّاب يلازمونه في أماكن إقامته وتحركاته، ويقومون بمهمة الكتابة له، ولقد انتشر استخدام لفظ (كاتب) في الدولة المهدية بصورة كبيرة، مثل كاتب الخليفة، وكاتب حمدان، وكاتب الراية الزرقاء. وكُتّاب المحاكم، وكُتّاب بيت المال في العاصمة والأقاليم، وكانوا يقومون ببعض المهام مثل استلام الرسائل وتحديد مواعيد المقابلات والقيام بعمليات التوثيق⁽¹⁾، وفي بعض الأحيان يُطلق على الكاتب مُعتمد السر أو مؤتمنه، وهناك كاتب التحرير الذي يقوم بتحرير الوثائق الصادرة واستلام المحررات الواردة وعرضها على الرئيس المختص، وتحرير الردود عليها حسبما يتفق الإجراء، كما كان يقوم بحفظ الرسائل الواردة وصورة من الصادرة، كما كانت هناك مجموعة من الكُتّاب يقومون بأعمال السكرتارية كاستخراج المحررات القديمة عند لزومها⁽²⁾.

من خلال الاطلاع على وثائق الدولة المهدية والرسائل التي تم تبادلها بين الخليفة عبد الله والقادة والأمراء والعمال في الأقاليم المختلفة، وبين الخليفة عبد الله وبين الجهاز الإداري في أم درمان، نجد أن هناك كم هائل من هذه الخطابات وقع عبؤها الأكبر على الكُتّاب الذين يقومون بكتابة الأوامر والتوجيهات والملاحظات،

وحصر القوات، والأسر، وإعداد المقاتلين، كما أن هناك ملاحظة تتعلق بكتاب الرسائل وهي اختلاف الخطوط من حيث الجودة والرداءة في الكتابة، وذلك مرده للعدد الكبير الذي يقوم بالكتابة، فنجد بعض الرسائل قد كُتبت بخط ممتاز والأخرى يصعب على القارئ العادي قراءتها، ورغم كل ذلك نجد أن هؤلاء الكتاب قد نجحوا في أن يدونوا لنا كمًا هائلًا من المعلومات عن الدولة المهدية نحن في أمس الحاجة لمراجعتها، والاطلاع عليها وتحليلها، وسبر أغوارها، وفهم محتواها ومضامينها.

كان الكتاب في الدولة المهدية يتبعون للخليفة عبد الله مباشرة، فإذا احتاج أحد الأمراء أو قادة الجيش أو أمناء بيت المال، أو أي مرفق من مرافق الدولة لكاتب فعليه الكتابة للخليفة عبد الله بغرض توقيره أو توجيه أحد الكتبة للعمل مع الأمر المعني. فعندما احتاج الأمير عبد الرحمن النجومي وهو في دنقلا لأحد الكتبة، قام بالكتابة للخليفة عبد الله بالسماح له بكاتب آخر (..سيدي إن لعبد الصمد الطاهر أبي صفية أخ يدعى مدني كنا التمسناه للمساعدة في الكتابة، ولا مساعد له مع تراكمها عليه، وتكلمنا معهم في أخذه معنا لذلك، ونرفع الأمر للإذن من لديكم...) (3).

كتاب الخليفة عبد الله:

كان للخليفة عبد الله أربعة من الكتاب يطلق عليهم اسم (المخصوصين)، ومهمة هؤلاء الكتاب القيام بكتابة الخطابات التي تصدر من الخليفة عبد الله إلى جهات الدولة المختلفة، كما أن هناك كاتبين آخرين عرفوا بكتاب الحضرة، وهؤلاء يقومون بكتابة حضرة الخليفة عبد الله (4).

وكان الخليفة عبد الله - في أم درمان حاضرة الدولة المهدية - يخصص وقتاً ما بعد الإفطار للاطلاع على جميع المراسلات التي ترد إليه في مختلف شؤون الدولة، ونجد أنه كان يهتم بهذا الأمر بغرض الاطلاع على ما يدور في أطراف الدولة الممتدة.

وساعدت الأخبار اليومية ووصول البريد بانتظام للخليفة في أم درمان في أن يلم بكل تفاصيل العمالات، وأن يحرك قواته بسرعة كبيرة للمناطق التي يحدث فيها اضطرابات، أو تلك التي من المتوقع خروجها على سلطة الخليفة⁽⁵⁾.

بالإضافة لكتاب الخليفة عبد الله كان للأمير يعقوب عدداً من الكتاب، هم:

- محمود علي الأحيمر - مصري.
- عمر الصادق - رباطابي.
- عبد الحليم أحمد - مصري.
- عبد القادر محمد الأمين - جعلي.
- بابكر عبد الرحيم.
- السيد معوض أبو عسكر - مصري
- السيد محمد البرماوي - مصري
- أحمد عبد الحميد - مصري.
- حامد أبكر ملاس.
- بانقا موسى يعقوب وهو رئيس الديوان⁽⁶⁾.

ومن أشهر كُتَّاب الرسائل الذين خدموا في الدولة المهدية وتميزوا بالدقة والمحافظة على الصادر والوارد من الرسائل، المجذوب أبوبكر يوسف الذي تولى الكتابة للأمير عثمان دقنة، حيث وجدت كل المحررات الرسمية التي تخص عمالة الأمير عثمان دقنة بمنزله بـ (أفافيت) (7).

كما قام الخليفة عبد الله بإرسال شخص يدعى محمد مصطفى الكاتب إلى الأمير يونس ود الدكيم ليصبح كاتبه الخاص في دنقلا، وقد كان مصطفى هذا أحد كتاب مساعد قيدوم، لذلك كتب للخليفة عبد الله يطلب منه أن يعمل على إرجاعه له في كسلا، رغم احترامه لقرار الخليفة عبد الله إلا أنه يطمح في أن يستجيب الخليفة عبد الله لطلبه (8).

ومما يدل على اهتمام الخليفة بكتاب الرسائل في العمالات المختلفة، واستمراره في تتبع أخبارهم، أنه كتب إلى مساعد قيدوم يسأله عن الكاتب الذي معه والذي يدعى محمد عمر، فأجابه قائلاً: (.....) ولكون المذكور ومنذ حضوره معنا قائماً براحة بالنا ومساعدتنا في الكليات والجزئيات مع حسن الاستقامة ولزوم الصدق والأدب وجميل الصبر على تحمل الشدائد في الله... (9).

الكتبة في الجيش والسرايا:

كان لكتاب الجيش والسرايا في الدولة المهدية دورٌ مهمٌ حيث كانوا يقومون بكتابة الخطابات من القادة والأمراء إلى الخليفة عبد الله والأمير يعقوب، أو الخطابات المتبادلة بين القادة والأمراء، وقد كان الجيش في الدولة المهدية في حاجة ماسة إلى تلك الوسائل من

التواصل وذلك لبعد العمالات عن المركز، وبعد العمالات بعضها عن بعض، وتُعد الرسائل من مكملات العمل الإداري والعسكري، ونجد أنّ الأمير إبراهيم الخليل قد طلب من الخليفة عبد الله في أم درمان إرسال كاتب يعاونه في كتابة الرسائل، وذلك لأنّ الكاتب الذي معه بطيء، وهو يقوم بكتابة الرسالة في يومين أو ثلاثة، ولذلك يجب تبديله (... وما معه كاتب إلا محمد محمود المذكور كلما أردنا تحرير ورقة لا ينجزها إلا بعد يومين أو ثلاثة...)⁽¹⁰⁾.

وقد كان كل أمير من أمراء الدولة المهدية يحتفظ بعدد من الكتبة في رئاسته، وذلك لتحرير الخطابات الرسمية وإرسال الردود والكشوفات، وفي حالة الحملات العسكرية تجتمع الأرباع، وهي تشكيلات داخل الجيش في مكان واحد، ويجتمع الكتبة في رئاسة الأمير ويتحول الكتبة للأرباع عندما يجري انفصالها وتولية مسؤوليات بعيدة عن العمالة أو المركز⁽¹¹⁾.

الكتبة التابعين للرايات: وتوزيعهم كالآتي:

- كتبة الخليفة عبد الله، وعددهم 4.
- كتبة الأمير يعقوب، وعددهم 3.
- كتبة الراية الزرقاء، وعددهم 6.
- كتبة عثمان شيخ الدين بن الخليفة عبد الله، وعددهم 3.
- كتبة الراية الخضراء قبل حلها، وعددهم 4.
- كتبة جيش الملازمين، وعددهم 4.
- عمال مصانع الأسلحة، وعددهم 27.

- القضاة والموظفين، وعددهم 16.
- عمال مختلف الحرف، وعددهم 27.

وقد أسهم موظفو بيت المال في تسهيل العمل الإداري داخل الدولة المهدية، وتفاوتت أعدادهم على حسب طبيعة العمل الذي يقومون به .

الأختام في الدولة المهدية:

يُعد الختم من الأدوات المهمة في الدولة، ولا تتم المكاتبات إلا به، وقد تم استخدام الختم في السودان بصورة واسعة نسبة لانتشار الأمية بين أهل البلاد، وقد تم استخدامه في الممالك الإسلامية في السودان مثل الفونج، والفور، وتقلي، والمسبغات⁽¹²⁾.

وكان للإمام المهدي أربعة أختام، نقش على الأول منها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد أحمد المهدي عبد الله، وفي الختم الثاني تم نقش عبارة بسم الله الرحمن الرحيم محمد المهدي بن عبد الله⁽¹³⁾.



ختم الإمام المهدي وهو أقدم الأختام التي استخدمها المهدي، كتب في السطر الأول لا إله إلا الله، وفي السطر الثاني محمد رسول الله، وفي السطر الثالث محمد المهدي عبد الله وفي السطر الرابع التاريخ 1292هـ، تم استخدام هذا الختم من قبل المهدي لإجازة أحد أتباع الطريقة السمانية.



ختم مضلع، يشتمل على ثمانية أضلاع، ومقسم لتسعة أجزاء، به عدد كبير من النقوش وكتابة في الوسط، في السطر الأول تم نقش بسم الله الرحمن الرحيم، وفي السطر الثاني محمد المهدي، وفي السطر الثالث ابن عبد الله، وفي السطر الرابع 1299هـ، وهناك كتابة على الجانب الأيسر وهي لا إله إلا الله، وعلى الجانب الأيمن محمد رسول الله.



هذا الختم كان ضمن مجموعة العرض الأول بمتحف بيت الخليفة عبد الله بأم درمان، وكُتب في التعريف أن هذا الختم ختم المهدي كان يستخدم كوصل لدفع العشور. (هذا الختم لم يظهر ضمن أختام المهدي الأربعة التي وردت في العديد من المصادر)



ختم الخليفة عبد الله تميز بأنه بيضاوي به زخارف ونُقشت عليه عبارة
حسبنا الله ونعم الوكيل.

إن الختم في الوثيقة أو الرسالة يُعد دلالة على صحة ما ورد فيها. وكان للختم في الدولة المهدية أهمية كبيرة، وكان خاتم الخليفة عبد الله بحوزة المدثر الحجاز واستمر معه حتى سقوط الدولة المهدية. وقام بتسليمه بعد ذلك للمخابرات المصرية بعد سقوط أم درمان. أما أختام العمال والأمراء فقد ظلوا يستعملون أختامهم التي معهم منذ حياة المهدي، ولكن في العام (1304هـ / 1886-1887م) أصدر الخليفة عبد الله أمراً بإبطال جميع الأختام القديمة، والسبب في ذلك عملية التزوير التي ظهرت في ذلك الوقت، وعلى الفور قام الخليفة عبد الله بجمع كل الأختام من الأمراء والعمال وقادة الجيش، كما صدرت الأوامر بالألّا يتم ختم أي خطاب إلا بواسطة شخص يحمل إجازة (إذن) من الخليفة عبد الله، ويتحصل على ختم من الخليفة عبد الله مباشرة، وقد كان النقش على الخاتم يختلف باختلاف درجة العامل أو الأمير ومرتبته⁽¹⁴⁾.



ختم الأمير حمدان أبو عنجة

وقد نقش الأمير حمدان أبو عنجة على ختمه الخاص في السطر الأول عبارة وفق ياذا القدرة، وفي السطر الثاني عبدك حمدان، وفي السطر الثالث أبو عنجة، كما قام الأمير الحسن سعد محمد العبادي بنقش اسمه على ختمه الخاص (الحسن سعد محمد)، وقد تميز ختمه بالنقوش الزخرفية في أعلى الختم، وقد كُتب في السطر الأول من أسفل الحسن، وفي السطر الثاني سعد، وفي السطر الثالث محمد⁽¹⁵⁾.



ختم الحسن سعد العبادي

وقد كان لكبار قادة وأمراء المهديّة أختام رمزية أما صغارهم فيحملون أختاماً بأسمائهم، ومن أختام كبار المهديّة ختم الخليفة عبد الله الذي نقش عليه عبارة حسبنا الله ونعم الوكيل، وختم الأمير عبد الرحمن النجومى، والذي نُقش عليه (أنصر يا رحمان عبدك عبد الرحمن)، وإذا كان العامل في العمالة لا يحمل ختماً فعليه ختم رسالته إلى الخليفة بواسطة أمير أو عامل يحمل ختم ومصدق به من الخليفة عبد الله⁽¹⁶⁾.

خطاب اشتمل على أكثر من 20 ختم في الدولة المهدية

ولتوثيق الخطابات والمراسلات العامة والخاصة كان لكل أمير أو عامل عمالة أو أمين لبيت المال في الدولة المهديّة ختم خاص، والذي يُعد من أهم وأقيم ممتلكات الشخص المحدد، وقد عمل الخليفة عبد الله على الاهتمام بهذه الأختام وكان حريصاً عليها بصورة كبيرة، وأي رسالة غير مختومة بختم كانت محل شك لدى الخليفة والأمراء والقادة في الدولة المهديّة، وقد وصل الأمر بأن أي شخص فقد الختم الشخصي لأي سبب من الأسباب لا يمكنه عمل ختم جديد إلا بموافقة الخليفة عبد الله.

تغيير أختام الأمراء والعمال وقادة الجيش :

من الملاحظ في الدولة المهديّة أن لكل أمير أو عامل أو قائد للجيش ختمه الخاص، والذي يتم التوقيع به في آخر الرسالة المرسلّة إلى الخليفة عبد الله أو إلى باقي الأمراء والعمال، وهو دليل على صحة ما ورد في الرسالة. وكما أسلفنا الذكر، فعندما يرغب أحد العمال أو الأمراء أو قادة الجيش في تغيير ختمه الخاص فعليه الكتابة للخليفة عبد الله يطلب منه التصديق له بخاتم جديد أو تغيير الختم الذي بحوزته. وعندما فقد خاتم مساعد قيدوم في الهجوم على كسلا طلب من الخليفة عبد الله الإذن بخاتم جديد قائلاً: (...سيدي إن خاتمنا لزوم ختم الجوابات ضاع بمنزلنا في واقعة الأعداء والآن فاضلين بدون ختم والأمر مفوض سيدي للأيادي الشريفة...) (17).

فلا يمكن لأي شخص في الدولة المهديّة استخدام (ختم) خاص إلا بعد موافقة الخليفة عبد الله، ففي رسالة بعثها بشير كمبال إلى

ال خليفة عبد الله بتاريخ 12 ربيع آخر 1309هـ/ 12 نوفمبر 189م)، لم يختم بشير كمبال رسالته الصادرة للخليفة، لأنه لم يتلق الإذن بذلك (... سيدي خشية من الوقوع في إساءة الأدب ما أمكنا أن نختم على الأوراق لأنه لم تصدر لنا بذلك إشارة...) (18).

من خلال من خطاب بشير كمبال للخليفة عبد الله يتضح إن الخليفة عبد الله قد نجح في أن يضرب رقابة تامة على الأمراء والقادة والعمال في عمالات الدولة المهدية، وعلى أدق تفاصيل الدولة الإدارية، ونرى أن الخليفة عبد الله كان يتخوف من الانفلات الإداري الذي قد يؤدي بدوره في نهاية الأمر إلى ضعف الدولة وانهيارها.

الورق في الدولة المهدية:

اعتمدت الدولة المهدية في كتابة الرسائل العامة والخاصة على ما حصلت عليه من ورق بمختلف أنواعه وأحجامه وأشكاله والتي غنمته من الخديوية المصرية في السودان، وهي مجمل كميات الورق التي كانت في تلك الفترة في كل من الأبيض وبارا وسنار وكسلا، وبربر، ودنقلا، والخرطوم، وغيرها من المدن التي سقطت وتم تحريرها بواسطة الأنصار، وعلى الرغم من الكميات الكبيرة التي حصلت عليها المهدية من الورق والتي أصبحت بعد ذلك وثائقاً تحمل تاريخها وأخبارها التي تم حفظها بدار الوثائق القومية بالخرطوم، وأرشيف جامعة درم ببريطانيا، ودار المحفوظات المصرية بالقاهرة، ومتحف بيت الخليفة بأم درمان وغيرها من الأماكن التي احتفظت بوثائق المهدية الثورة والدولة، إلا أن الدولة قد واجهت شحاً واضحاً في عنصر الورق الذي تُكتب عليه جميع الرسائل

والخطابات والتوجيهات والكتب والمحررات، ومما يدل على ذلك الخطاب الذي أرسله الأمير عبد الرحيم سالم أبو دقل إلى الأمير يعقوب لكي يمدّه بالورق للاستعانة به في كتابة الخطابات، وقد تعرض الورق في الدولة المهدية إلى العديد من المشاكل التي أدت في نهاية الأمر إلى حدوث ندرة فيه. ومن هذه العوامل: الأمطار والرطوبة العالية والحريق الذي كانت تتعرض له بعض الأوراق في مختلف عمالات الدولة المهدية في بعض الأوقات⁽¹⁹⁾.

كان الورق في الدولة المهدية تحت تصرف وإدارة بيت مال العموم في أم درمان ولا يتم صرفه إلا بموافقة أمين بيت المال أو بتوجيهات مباشرة من الخليفة عبد الله والأمير يعقوب، ونتيجة لاتساع الدولة المهدية وكثرة الأوامر والتوجيهات اليومية والأعمال الروتينية للدولة تم استهلاك الكثير من الورق ولذلك واجهت المهدية مشكلة شح هذا العنصر المهم في كتابة الرسائل والخطابات والأخبار التي كانت تصدر من أم درمان إلى مختلف أقاليم الدولة المهدية، وقد كانت هناك خطابات تأتي بصورة يومية تحمل العديد من الأخبار عن عمالات المهدية، ويمكن تسليط الضوء على بعض الملامح ومحتويات الرسائل والخطابات الصادرة والواردة إلى أم درمان، وهي:

- توجيهات وأوامر الخليفة عبد الله والأمير يعقوب (جrab الرأي) في أم درمان لقادة الجيوش وعمال العمالات (الأقاليم) المختلفة.
- ردود قادة الجيش وعمال العمالات على خطابات الخليفة عبد الله والأمير يعقوب (جrab الرأي) في أم درمان.

- خطابات أمناء بيت مال العموم وبيوت المال المختلفة في أم درمان.

- الخطابات اليومية والدورية بين قادة الدولة المهدية.

- التقارير اليومية والدورية عن الأوضاع في العمالات (الأقاليم) والتي كانت ترسل للخليفة عبد الله والأمير يعقوب في أم درمان.

- تقارير بيت مال العموم وبيوت المال الأخرى التي كانت ترفع للخليفة عبد الله والأمير يعقوب في أم درمان.

وعندما انعدم الورق الذي يستخدم في كتابة الرسائل من قبل أمراء المهدية مثل عبد المجيد عنيف، ومدني حسين، قاموا بالكتابة إلى الأمير يعقوب بغرض مدّهم بكمية من الأوراق، في إشارة إلى أنهم قد كتبوا قبل ذلك إلى بيت المال ولم يستجب إلى طلبهم، ولذلك حاولوا مرةً أخرى بالكتابة للأمير يعقوب بشأن الورق المطلوب⁽²⁰⁾.

وعلى العموم فقد ساهم البريد في ربط أجزاء الدولة المهدية بأم درمان، وأعطى الخليفة عبد الله صورة واضحة عما يدور في العمالات، ولذلك نجده يطلب السماع من ساعي البريد قبل استلام الرسائل منه، لأنّ من رأى ليس كمن كُتبت له الرسالة.

التسهيلات التي تقدم لحاملي البريد:

لخطورة وأهمية مهمة حامل البريد في الدولة المهدية، عملت الدولة على تقديم العديد من التسهيلات لهذه الشريحة المهمة، منها:

- أنهم كانوا يحملون تصريحاً خاصاً يحث كافة الأنصار بتقديم ما يحتاجون إليه من مساعدة.

- أن يتم تبديل دوابهم متى ما طلبوا ذلك.

وقد كان بيت المال يتكفل بصرف مرتبات عمال البريد في الدولة المهدية، حيث قام بصرف 7 قوشلي و2824 مقبول، وهي عبارة عن مرتبات في العام 1314هـ/1896م.⁽²¹⁾

وقد وجد حاملو البريد عناية خاصة في الدولة المهدية، إلا أن بعض حاملي البريد قد عملوا على استغلال الصلاحيات التي مُنحت لهم وأخذوا يستولون على الدواب الجيدة من عامة الناس، وحتى دواب بيت المال، ونتيجةً لذلك قام الأمير يعقوب بإيقاف عملية تبديل الدواب التي كانت ممنوحة لعمال البريد، وذلك عندما رأى الاستغلال السيئ لتلك الامتيازات التي أُعطيت لهم، وأصدر أمراً آخر يمنع بموجبه تبديل الدواب من بيت المال، وقد كانت عملية تبديل الدواب من الأهالي سيفاً مسلطاً على رقابهم، وكانوا يتعرضون للعقاب عندما يرفضون تبديل دوابهم.⁽²²⁾

مما سبق نجد أن الأمير يعقوب (جrab الرأي) قد تنبه لخطورة استغلال النفوذ من قبل رجال البريد الذين يعملون على توصل البريد لمناطق الدولة المهدية المختلفة، ولكي يوقف هذا الاستغلال صدرت الأوامر الصارمة من قبله لجميع العاملين في هذا المرفق المهم والحيوي.

هوامش الفصل الخامس

- (1) تاج السر عثمان بابو، طبيعة وخصائص الدولة في المهديّة، مرجع سابق.
- (2) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، مرجع سابق، ص 81-82.
- (3) محررات عبد الرحمن النجومي، مصدر سابق، ص 61.
- (4) جبرائيل ويربيرق، السودان في عهد ونجت، الإدارة الإنجليزية المصرية في السودان، (1899-1916م، (ترجمة) محمد الخضر محمد سالم، كادقلي عاصمة التراث السوداني، 2015م، ص 531.
- (5) دولت يوسف أحمد إبراهيم، مرجع سابق، 102-103.
- (6) بشير كوكو حميدة، مرجع سابق، ص 225.
- (7) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، مرجع سابق، ص 56.
- (8) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 16 جماد آخر 1307هـ، أكتوبر 1890م، ص 66.
- (9) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/3/5 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 11 محرم 1312هـ، مارس 1895م، ص 112.
- (10) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/32/1 من إبراهيم خليل إلى الخليفة عبد الله، غرة رجب 1310هـ، 1892م، ص 13.
- (11) عصمت حسن زلفو، كرري،، ص 127-128.

(12) محمد إبراهيم أبوسليم، أدوات الحكم والولاية في السودان، دار الجيل بيروت، 1992م، ص103.

(13) إخلاص مكاوي محمد علي، الأختام في المهديّة، دار الوثائق القومية، إفادة صوتية، بتاريخ 2024/6/28م.

(14) المرجع نفسه.

(15) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، مرجع سابق، ص117.

(16) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، مرجع سابق، ص118.

(17) د. و. ق. خ/ مهديّة 5/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 11 محرم 1312هـ، مارس 1895م، ص114.

(18) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/3/7 من بشير كمبال، إلى الخليفة عبد الله، 12 ربيع آخر 1309هـ، فبراير 1891م، ص120.

(19) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/6/2 من عبد الرحيم سالم إلى الأمير يعقوب، 11 القعدة 1314هـ، أبريل 1897م، ص28.

(20) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/6/2 من عبد المجيد عنيف ومدني حسين إلى الأمير يعقوب، 22 ربيع أول 1314هـ، أغسطس 1896م، ص2.

(21) د. و. ق. خ/ مهديّة 10/3/7 بيت مال العموم، 1314هـ، 1896م، ص3.

(22) حاتم الصديق محمد أحمد، دور الأمير يعقوب في المهديّة، 1881-1898م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2009م، ص65-66.

الفصل السادس

المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد في الدولة المهدية

الفصل السادس

المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد في الدولة المهدية

من القبائل التي اشتهرت بخدمة وحمل البريد في الدولة المهدية قبيلة العبابدة، فكانوا يحملون بريد الدولة المهدية لمختلف العمالات والمناطق ⁽¹⁾ وقبيلة العبابدة من القبائل الحدودية بين السودان ومصر، وينقسم العبابدة إلى قسمين، القسم الأول العبابدة (العشاباب)، والقسم الثاني العبابدة (المليكاب). وكان العبابدة المليكاب أقل عدداً من العبابدة العشاباب، وحرفتهم الأولى رعي الماشية، ولجفاف المنطقة التي يقطنون بها تخلوا عن حرفة الرعي واتجهوا إلى التجارة بين كورسكو وأبي حمد عبر الصحراء. وبالرغم من قلة عدد المليكاب إلا أنهم أصبحوا هم سادة التجارة بين مصر والسودان. وعند قيام الدولة المهدية انضم حسن خليفة إليها وعُين من قبل المهدي زعيماً على قبيلة العبابدة، وبسبب سيطرة المليكاب على التجارة تولدت بينهم والعبابدة العشاباب العداوة، واستطاع العشاباب أن ينضموا إلى بريد الخليفة عبد الله، الذي أبقى حسن خليفة أميراً على العبابدة وأوكل إليه رئاسة القوافل التجارية، وجعله مرابطاً في آبار المرات بين كورسكو وأبي حمد ⁽²⁾. ويُعد العبابدة من أميز القبائل السودانية في معرفة الصحراء والتواصل بين السودان ومصر، ويمكن أن نطلق عليهم لقب ملوك الصحراء.

وبالإضافة لقبيلة العبابدة فقد كانت هناك مجموعات من حاملي البريد في الدولة المهدية من قبائل الجعليين، والهندوة، والتعايشة وغيرهم من القبائل التي أسهمت بصورة كبيرة في حمل بريد الدولة المهدية والمحافظة عليه، الأمر الذي أدى إلى استقرار نظام البريد بشكل واضح.

ولتطوير هذا الجهاز المهم في الدولة المهدية قدم إبراهيم ود عدلان⁽³⁾ أمين بيت المال في أم درمان في الفترة من (1302-1307هـ/ 1885-1889م) إلى الخليفة عبد الله مقترح أن يتم تنظيم البريد في الدولة بصورة حديثة وبمواقيت محددة، لكن هذا المقترح لم يجد القبول عند الخليفة عبد الله، وكان رده أن عمال البريد الذين يحملون الرسائل المكتوبة يرفعون إليه تقارير شفوية هي أقيم عنده من الرسائل المكتوبة، ونرى أن الخليفة عبد الله راهن على مشاهدات عمال البريد وتقديرهم للمواقف في العمالات والأقاليم التي يحضرون منها، أو تلك التي يعبرون بها، وبذلك يتمكنون من نقل الصورة بما شاهدوها للخليفة في أم درمان، وهو بذلك يكون ومن خلال عيونه في البريد قد شاهد وخبر ما يدور في عمالاته القريبة والبعيدة، وأصبح ملماً بأحوال الدولة وتعقيداتها.

نلاحظ أن إبراهيم ود عدلان وبخلفيته التجارية الكبيرة في فترة الخديوية في السودان قدم مقترح منطقي وموضوعي ويمكن من تطوير البريد في المهدية ويسهم في مراقبة ومتابعة عمال البريد بكل سهولة ويسر، ولكن فكرة التطوير والتحديث لم تجد القبول من قبل الخليفة عبد الله الذي فضل العمل بالطريقة التي تعود

عليها وأصبح يتعامل بها مع عمال البريد القادمين والذاهبين لمناطق المهديّة المختلفة.

دور البريد في خدمة أمن واستخبارات الخليفة:

لعب البريد دوراً مهماً في خدمة الأمن والاستخبارات في الدولة المهديّة من خلال سرعة إيصال الخطابات العامة والخاصة والشفهية، كما لم يكن حامل البريد شخصية عادية في الدولة، بل كان يمثل عين وأذن الخليفة في مناطق الدولة المختلفة، فبالإضافة للبريد الذي يحمله من العمالة إلى الخليفة في أم درمان كان عامل البريد ينقل كل مشاهداته ومعايشته للأوضاع منذ خروجه من أم درمان وحتى عودته إليها، لذلك وجدت هذه الشريحة المهمة في الدولة المهديّة العناية الفائقة من قبل الخليفة عبد الله. فتُعد وظيفة ساعي البريد أو حامل البريد من الوظائف المهمة في الدولة المهديّة، حيث كانت عملية اختيار رجال البريد تتم بحسب الولاء للخليفة عبد الله والأمير يعقوب، وعلى حسب التقرب منهم لكسب ثقتهم⁽⁴⁾.

ومما يدل على سرعة العمل الاستخباري في الدولة المهديّة وقدرة هذه المجموعة على إيصال المعلومات للخليفة، أنه إذا وصل التلغراف للقاهرة من سواكن وما بها من أحداث فإن مخابرات الخليفة عبد الله تلتقط تلك المعلومات عبر الحدود ومن ثم يركبون الهجن (الأبل) إلى بربر ومن هناك إلى أم درمان. وعندما يصل البريد بخبر من سواكن يجد أن المعلومات قد وصلت للخليفة في أم درمان⁽⁵⁾.

ويُحسب لعمال البريد في الدولة المهدية دورهم البارز في إنجاح العمل الاستخباراتي، وقد كانت الحوادث تتقل بالتفصيل للخليفة عبد الله في أم درمان بصورة سريعة ومفصلة، وفي كثير من الأحيان تتطابق التقارير الشفهية والمكتوبة التي يرفعها أفراد المخابرات والأمراء والعمال مع ما يصل من بريد للخليفة عبد الله في أم درمان⁽⁶⁾.

فكان الخليفة عبد الله يتشدد في اختيار الأشخاص الذين يوكل إليهم مهمة نقل البريد، وقد كتب إلى مساعد قيوم يطلب منه اختيار من يثق فيهم للعمل في حمل البريد (... سيدي إن الإشارة السريعة الصادرة في 25 الماضي، بأن الهجانة الذين يحضرون منا لصبوب كنز فلاحنا يكونوا من أهل بيتنا خاصة لحفظهم الأسرار...)⁽⁷⁾. ولأن مساعد قيوم يعرف محمد التركاوي والضو بن عمر وهم من البطاحين الذين خدموا معه عندما كان في دنقلا، وهم من أصحاب الكفاءة في حفظ وحمل البريد، طلب من الخليفة أن يعملوا معه عندما انتقل إلى كسلا، وأن يسمح لهم بنقل عوائلهم من دنقلا إلى كسلا⁽⁸⁾.

وقد كان البريد يُنقل بواسطة الجمال والخيول والبواخر للمناطق البعيدة، وقد عُرف عمال البريد الذين يستخدمون الجمال بالهجانة، وكان عمال البريد يلعبون دوراً مزدوجاً يشتمل على توزيع البريد وتقديم التقارير السرية (العمل الأمني الاستخباراتي) للخليفة عبد الله عن العمال في الأقاليم المختلفة⁽⁹⁾.



مدينة سواكن

كما كانت الدولة المهدية تعتمد على الخيول التي غنموها من المعارك السابقة ضد الحكومة التركية، أو تلك التي يتم استيرادها من الحبشة عبر القلابات، إلا أن تلك الخيول لم تتكيف مع المناخ في السودان، كما أن هناك مناطق اشتهرت بتربية الخيول مثل دنقلا ومناطق دارفور، وقد كانت بالمراعي قرب أم درمان حوالي 2000 جمل بغرض النقل والترحيل⁽¹⁰⁾.

كان الخليفة عبد الله يصر على أن تصله مراسلات وافية من الحكام في الأقاليم، حيث كانت هنالك رسائل متواصلة بين الخليفة عبد الله وعماله في الأقاليم المختلفة، وقادة المناطق العسكرية، وفي

حالة تأخر رسائل العمال تُرسل مع مخصصهم وهم يتبعون أيضاً إلى دائرة الخليفة عبد الله الأمنية، وهم أهل ثقة عند الخليفة⁽¹¹⁾ وقد أوكل الخليفة عبد الله أمر الإشراف على البريد في الدولة المهدية لكرار بشير العبادي، الذي كان يعمل في السابق مع الحكم التركي وكيلاً لبريد كردفان⁽¹²⁾.

ويُعد بشير العبادي - من قبيلة العبابدة - ساعي البريد الرئيس في الدولة المهدية، ومن المقربين لدى الخليفة عبد الله وصاحب مكانة كبيرة، وقد تمكن في إحدى المرات من إحضار 200 من الإبل من بربر إلى أم درمان وذلك بحسب طلب الخليفة عبد الله⁽¹³⁾.

ومما يجدر ذكره إن سلاطين⁽¹⁴⁾ باشا قد وصف نظام البريد في الدولة المهدية بأنه نظام متخلف لكنه استطاع أن يربط أجزاء الدولة المختلفة. وقد خصص الخليفة ثمانين من الإبل الجيدة لخدمة البريد، وكان يتم اختيار عمال هذا البريد بعناية فائقة للعمل في نظام يهدف لربط أجزاء الدولة المترامية الأطراف بعضها ببعض، وقد قدم إبراهيم ود عدلان مقترحاً للخليفة بإنشاء نقاط للبريد. وبالإضافة للتقارير المكتوبة كان الخليفة يعتمد على التقارير الشفهية⁽¹⁵⁾.

لا يتفق الباحث مع سلاطين باشا في وصف نظام البريد في الدولة المهدية بالنظام المتخلف والدليل على ذلك نجاحه في ربط أجزاء الدولة المختلفة، وتمكين الخليفة عبد الله من الإمام بما يدور في العمليات المختلفة، وسرعة القرارات التي كانت تصدر من الخليفة عبد الله بعد تلقيه للتقارير الشفهية والمكتوبة، وانضباط عمل البريد في إيصال التقارير والخطابات في أسرع وقت، علاوة على اهتمام الخليفة عبد الله بهذا المرفق المهم من مرافق الدولة المهدية.

بالإضافة إلى البريد عمل الخليفة عبد الله على الاستفادة من نظام التلغراف الذي كان موجوداً في الخرطوم، حيث قام بربط أم درمان بخط التلغراف مع طابية الكارة الترسانة الحربية مع نقطة الخرطوم بحري (قصر راسخ)، وأيضاً تم ربط بيت مال العموم بهذه الشبكة من التلغراف، ونجد أن الخليفة عبد الله سعى إلى ربط هذه المناطق الاستراتيجية ليتمكن من متابعتها بصورة دقيقة⁽¹⁶⁾. وقد ورثت المهديّة في السودان شبكة من خطوط التلغراف على امتداد البلاد ولكنها لم تستفد منها الأمر الذي أعاق تطورها في هذا المجال.

بريد العملات أو الأقاليم:

كان البريد في العملات يُشكّل بأمر الخليفة عبد الله، ويقسم إلى قسمين، الأول يختص بأسرار الأعمال العسكرية للعمالة (الإقليم) والمراسلات الخاصة بين الخليفة عبد الله وعامله على العمالة، والقسم الثاني قد اختص بالمكاتبات العامة. وهذه الأقسام في الرسائل قد تم إدخالها في إدارة الدولة المهديّة لخدمة غرضين: الأول ألا تصل أخبار الهزائم العسكرية التي تلحق بقوات المهديّة إلى عامة الناس، حيث كانت أخبار المعارك ترسل في صورتين، الصورة الأولى من الخطاب تحمل النصر الدائم لقوات المهديّة، وهذه الصورة من الخطاب تقرأ على الأنصار في المسجد، والصورة الثانية تحمل الجانب الحقيقي للمعارك، والغرض الثاني إضفاء السرية على الرسائل الخاصة المرسلة إلى الخليفة عبد الله.⁽¹⁷⁾



النور الجريفاوي والبريد :

اهتم النور الجريفاوي أمين بيت مال بربر بشمال السودان بأمر البريد الذي يربط بين بيت مال بربر وأم درمان والأمير عثمان دقنة في شرق السودان، ولتسريع عملية البريد وقع اختيار النور الجريفاوي على محمد حمد رابع، الذي يُعد من أصحاب الخبرة والدراية بالطريق الواصل بين سواكن وبربر منذ العهد التركي، وقد التزم محمد رابع وجماعته بإيصال البريد في أسرع وقت ممكن. وقد أكد للنور الجريفاوي بأنه وجماعته من قبيلة الأمرار المقيمين بالبحر الأحمر سوف ينجزون المهمة على أكمل وجه، ولضمان سرية وسرعة إيصال البريد سوف يستخدم شخصين فقط لحمل البريد. وقد تشاور النور الجريفاوي مع العامل الأمير عثمان ود الدكيم عامل الخليفة على بربر في أمر توزيع ألف جمل على أفراد قبائل (البشاريين، والهدندوة، والشكرية، والأمرار) المقيمين في البحر الأحمر وهم جماعة محمد حمد رابع، وهذه الجمال هي ملك لبيت مال بربر، وعلى هذه القبائل رعايتها والاهتمام بها حتى تقوم بدورها في إرسال البريد والمهمات إلى الأمير عثمان دقنة في شرق السودان⁽¹⁸⁾.



الأمير يونس ود الدكيم بعد انتهاء معركة أم دبيكرات 24 نوفمبر 1899م

من أهم الرسائل التي تم إرسالها لقادة الدولة المهدية الرسائل التي أرسلها سردار الجيش المصري جرنفل للأمير عبد الرحمن النجومي، والتي كان يطلب فيها من الأمير النجومي ترك المهدية والتسليم لهم، وعندما علم الخليفة عبد الله بتلك الخطابات طلب من النجومي عدم الرد على تلك الرسائل لأن جميع الخطابات التي ترد إليه من جرنفل لا تحتوي إلا على الغش والخداع، وأن هذا المنع يأتي من باب سد الثغرات، وذكره بكتابات جرانفل إلى عثمان دقنة عندما كان في كسلا حيث امتنع عثمان دقنة عن الرد

الشيء الذي أدى إلى أن يقطع جرنفل تلك الرسائل مع عثمان دقنة⁽¹⁹⁾.

وقد حاول محمد سر الختم الميرغني التوسط بين النجومي والحكومة المصرية؛ وأنه مع تسليم النجومي وتركه لدعم ومساندة المهديّة، سوف يعمل على مناقشة ثلاث نقاط مع الحكومة المصرية وهي:

- رفع أي مطلب يتقدم إلى الحكومة المصرية في القاهرة.
- وقف الحرب بين النجومي والحكومة المصرية.
- سوف يسعى إلى إقناع الحكومة المصرية بعدم التقدم جنوباً داخل الأراضي السودانية.⁽²⁰⁾

عندما علم الخليفة عبد الله بهذه الخطابات طلب من الأمير النجومي عدم التعامل معها، ولقد كانت للخليفة نظرة بعيدة تجاه الرسائل التي ترد إلى النجومي من سردار الجيش المصري، ومحمد سر الختم الميرغني، وقد كان الخليفة عبد الله يقرأ الأحداث جيداً، فقد خشي من كتابات سردار الجيش المصري على تماسك النجومي، وأن يستثمر جرنفل النقص في الغذاء والسلاح والذخيرة في الضغط على النجومي ويدفعه إلى التسليم، ولخوف الخليفة عبد الله من ذلك نجده قد منع النجومي من الرد على تلك الرسائل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِهْ الْإِعَانَةُ بَدَأَ وَخَتَمَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتِ الْوُجْهِ وَآلِهِ
 مِنْ رَقٍّ مَوْلَاهُ الْغَنِيِّ مُحَمَّدٍ سِرِّهِ خَتَمِ الْمِيرِغَنِيِّ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ وَالشَّهِمِ الْكَامِلِ النَّيْلِ عَامِلِ مَدِيرِيَّةِ بَرْبَرٍ
 الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النُّجُومِيِّ سَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينَ
 بَعْدَ مَزِيدِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ إِنَّا حَضَرْنَا مِنْ مَعْرَاجِ أَسْوَانٍ طَلِبًا لِلرَّاحَةِ الْعُومِيَّةِ وَاعْلَمْنَا
 أَنَّ اللَّهَ تَجَانَنَ وَتَعَالَى عَجَى عَمَارِ الْوُجُودِ وَابْتِلَافِ الْخَلْقِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِمَا يَرْتَبُ عَلَى ذِكْرِهِ مِنْ حَسَنَاتٍ
 أَنْتَظِمُ مَعَايِشَهُمُ الَّتِي أَقَامَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَمِنْ حَيْثُ دَعَا الْأَسْبَابُ إِلَى قِطْعِ عِلَاقِ الْخَلْقِ مِنْ بَعْضِ
 إِلَى بَعْضٍ بِأَسْبَابِ الْأَقْدَارِ الْأَكْرَمِ الْخَالِصَةِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ فَقَدْ عَرَضَتْ تَفْصِي لِحُزْمَةِ الْأُمَّةِ فِي أَرْبَعِ
 أَهْرَاسِ السُّلْطَانِ هَذَا الْجَوَابِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ أَنْهُ بَاطِلٌ لَدَى اللَّهِ إِذَا كَانَ بِرِي مَنَاسِبٌ لَدَى
 فِي التَّكَلُّمِ مَعَ الْحُكُومَةِ السَّنِيَّةِ فِي إِيقَانِ الْمَجَارِبَاتِ وَتَنْظُرِي مَقْصُودِهِمْ وَتَسْتَشِيرِي فِي الْحُكُومَةِ لَعَلَّ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُلْطِفُ بِالْعِبَادِ وَيُجَرِّي التَّوَافُقَ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَأَرْجُو أَنْ يُلْهِمَ الْحُكُومَةَ فِي قَبُولِ مَسْئُورِ
 وَكَذَلِكَ أَيْلَهُمْ أَيْضًا أَنْتُمْ الْقَبُولِ وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ حَقُّقُ الدِّمَا وَتَقْيِيمُ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ وَنَزْعُ السُّقَا
 وَلَا أَقْصِدُ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَذَلُ الصِّبْغَةِ لِلْأُمَّةِ وَالْمَلَّةِ وَأَرْجُو أَنْتُمْ دِلَالَتَهُ بِالْإِفَادَةِ بِمَعْرُوفِ مَوَافَقِ
 لِصَلَحَتِهِ وَمَنَاسِبِ لِحُزْمَتِهِ وَسَاقِرِي التَّكَلُّمِ مَعَ الْحُكُومَةِ السَّنِيَّةِ بِإِيقَانِ حُرُوكَةِ الْقَدَمِ وَأَحْزَنُهَا بَالِي
 مَا تَنْتَظِرُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَكُمْ دِلَالَتُهُ بِالْإِفَادَةِ عَلَى مَا يَنْتَظِرُ عَلَيْهِ الْحَالُ وَأَرْجُو أَنْ يَسِّرَ الْأُمُورَ جَاهَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَمِنْ مَزِيدِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
 مُحَمَّدُ صَرْغِي

خطاب السيد محمد سر الختم الميرغني

إلى الأمير عبد الرحمن النجومي يعرض فيه التوسط بينه والحكومة
 المصرية 7 ربيع آخر 1304هـ/يناير 1887م، (21).

هوامش الفصل السادس

- (1) د. و. ق. خ/ مهديّة 2/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 12 محرم 1310هـ، يوليو 1894م، ص144.
- (2) إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، (جزئين)، مطبعة جريدة المؤيد القاهرة، 1319هـ.ج.2، ص 210.
- (3) إبراهيم عدلان: من قبيلة الكواهلة كان يعمل تاجراً في كردفان، تم تعيينه أميناً لبيت مال العموم في العام 1302هـ في أم درمان خلفاً لأحمد ود سليمان أول أمين لبيت المال في المهديّة، أسهم في إنشاء دار لسك العملة في الدولة المهديّة في العام 1304هـ، تم إعدام ود عدلان في العام 1307هـ نتيجة لبعض الخلافات بينه والخليفة عبد الله، اتش. اس. جوب، سك العملة في عهد المهدي والخليفة (2-2)، (ترجمة) بدرالدين حامد الهاشمي، الراكوبة، 17 يناير 2012م.
- (4) حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص64.
- (5) إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ص 351.
- (6) المصدر نفسه، ص 352.
- (7) د. و. ق. خ/ مهديّة 2/1/3 من مساعد قيدوم إلى الخليفة عبد الله، 12 محرم 1310هـ، 1892م، ص133.
- (8) د. و. ق. خ/ مهديّة 2/3/1 من مساعد قيدوم إلى الخليفة عبد الله، 21 بيع ثاني 1309هـ، فبراير 1891م، ص28.

(9) يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، تحقيق، أحمد إبراهيم أبو شوك، مركز عبد الكريم ميرغني، ام درمان 2004م، ص181.

(10) أر. ونجت، مصدر سابق، ص 529.

(11) ب. م. هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت، 1982م، ص281.

(12) المرجع نفسه، ص280.

(13) عبد الرحيم محمد صالح، تقارير المخابرات البريطانية عن السودان (1892-1898م)، تقارير مترجمة ومنشورة بموقع سودانيز أونلاين، 14 يونيو 2016م، ص 8.

(14) سلاطين باشا: هو رودلف أنتو كارل سلاطين يهودي الأصل ولد في العام 1857م بفينا بالنمسا، التحق بخدمة الجيش النمساوي، حضر إلى مصر ومنها إلى السودان، عمل في السودان في عدد من المناطق منها إقليم دارفور حيث تم تعيينه حاكما على الإقليم من قبل غردون باشا في العام 1884م، نجح في جمع العديد من المعلومات المهمة والحساسة عن السودان وقام بإرسالها إلى اللورد كرومر، عند قيام الثورة المهدية تمكن محمد خالد زُقل من القبض على سلاطين باشا وأصبح أسمه بعد ذلك عبد القادر سلاطين بعد أن ادعى اعتناق الإسلام. كان من المقربين للخليفة عبد الله لكنه تمكن في العام 1895م من الهرب إلى مصر في أكبر عملية استخباراتية نفذتها المخابرات المصرية والبريطانية داخل العمق السوداني بمعاونة مجموعة من السودانيين. عمل بعد هروبه في خدمة قلم المخابرات المصرية ثم

صحب حملة غزو السودان بقيادة اللورد كتشنر، وشغل بعد ذلك منصب المفتش العام في السودان 1900-1914م. وبسبب انحياز النمسا لدول المحور قدم سلاطين استقالته من منصبه ورجع إلى بلده حيث عمل في خدمة الصليب الأحمر. وعمل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في بعثة الصلح في باريس، وتوفي في العام 1932م.

(15) بدر الدين حامد الهاشمي، مرجع سابق، ص 97.

(16) إبراهيم شحاتة حسن، إمارة الإسلام المهدية في السودان، الدار القومية العربية للثقافة، بيروت، (ب. ت.)، ص 355-356.

(17) د. و. ق. خ/ مهدية 19A/1/1 من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، 25 شوال 1305هـ، ص 28.

(18) د. و. ق. خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، 15 الحجة 1306هـ، أبريل 1889م، ص 53.

(19) د. و. ق. خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، 15 الحجة 1306هـ، أبريل 1889م، ص 54.

(20) د. و. ق. خ/ مهدية 19A/1/1 من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد الله، 25 شوال 1305هـ، ص 28.

(21) د. و. ق. خ/ مهدية 1/7 من محمد سر الختم الميرغني إلى عبد الرحمن النجومي، 7 ربيع آخر 1304هـ، ديسمبر 1886م، ص 1.

الفصل السابع

الخيول وخدمة البريد في الدولة المهدية

الفصل السابع

الخيول وخدمة البريد في الدولة المهدية

يرجع تاريخ وجود الخيول في السودان إلى ما قبل القرن الثامن ق.م؛ وقد عُرف الملك السوداني بعانخي بحبه للخيول وتعلقه بها، وقد وجدت الكثير من الخيول مدفونة في حضارة نبتة في السودان، وكذلك في مقابر فركة في شمال السودان، وقد دخلت الخيول العربية إلى السودان منذ قديم الزمان عبر هجرات تلك المجموعات إلى السودان وادي النيل، ومن أشهر المناطق التي عُرفت بتربية الخيول والاهتمام بها إقليم دارفور، وقد استخدمت في القتال والتنقل والرعي والصيد وغيرها من الاستخدامات، وسلالة الخيول الموجودة في السودان تعرف باسم (البربرية) وقد تم تهجينها مع الخيول الأوربية من سلالة (ثورو بريد) التي تمتاز بالقوة والسرعة، وتمتاز الخيول السودانية بسهولة الانقياد. وطوال تاريخ السودان كانت الخيول حاضرة فيه وبقوة، وفي فترة الدولة المهدية تم استخدام الخيول في خدمة البريد وغيرها من المهام المدنية والحربية.

ونتيجة للصراعات في شبه الجزيرة العربية هاجرت عدد من القبائل إلى السودان ومعها أعداد من الخيول العربية الأصيلة، ومن هذه الهجرات هجرة قبيلة بليّ التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى السودان، كما أحضرت قبائل هوازن (الحلنقا) خيولها معها إلى السودان.

ويمكن القول أن فرار المماليك إلى السودان بعد صراعهم الدموي مع محمد علي باشا، قد أسهم في دخول أنواع جديدة من الخيول، وتحديدًا في مناطق دنقلا وديار الشايقية وإقليم دافور، حيث عُرف عنهم امتلاكهم لسلالة (الكحيلان) وهي من أفضل الخيول العربية المخصصة للركوب، وقد أخذت اسمها من السواد الذي يوجد حول عينيها، وهي تتميز بكبر حجمها وضخامة عضلاتها، وتضم سلالة الكحيلان فروع منها:

- الحمداني.
- الهدبان.
- الشَّويمان.
- الروضان.
- الوَدَّنان.
- الجلابي.
- العجوز.
- الهيفي.
- الكروشان.

وقد تميزت الخيول المصرية، وهي أقرب أنواع الخيول من حيث الجغرافيا للسوان، بطول الأعناق والأرْساغ، وبجودة الحوافر، وهي أيضاً قليلة الشعر وحديدة الأذان⁽¹⁾.

وقد وجدت الخيول مكانة كبيرة عند حكام السودان وعلية القوم، وقد خصصوا لها من يقومون بالاعتناء بها، وقد وضع الاهتمام

بالخيول عند الفور والفونج بصورة كبيرة، وكان ملوك الفونج يقومون بإحضار الخيول الجيدة من دنقلا التي كانت أكبر سوق للخيول في فترة الفونج، ويتم تصدير الخيول منها إلى الحبشة، وقد شبه أحد شعراء تلك الفترة الفتاة الحسنة في مملكة الفونج بمهرة دنقلا حيث قال:

زنوبة عيش النوبة مهر الدنقلا المجنوبة⁽²⁾.

وصف جيمس بروس خيول الفونج بأن ارتفاعها 16 شبراً، وهي قصيرة وبها سمرة في مقدمتها، وذكر بأنها تميزت بأجمل عينين وأذنين ورأس في العالم، وهي جميلة في الشكل وتمتاز بالقوة وسرعة الحركة ويغلب عليها السواد، والبعض خليط بين الأبيض والأسود، ومنها الأبيض مثل اللبن وحوافرهما وما حول عينيها بيضاء، وقد أعجب بروس بخيول عدلان وزير الفونج، وكان لملوك الفونج حظائر للخيول، وذكر بروس إن خيول سنار تمتاز بجمالها الذي لم ير مثله عند أي ملك في أوروبا⁽³⁾.



فارس من المماليك على ظهر فرسه

لقد دخلت أعداد كبيرة من الخيول القتالية القوية المدربة مع قوات محمد علي باشا لغزو السودان، وانتشرت في بقاع السودان المختلفة بغرض بسط سيطرة الباشا على البلاد، وبالإضافة لهذه الخيول كانت القبائل السودانية تمتلك العديد من الخيول، ومن هذه القبائل الشايقية، والجعليين والعدلاب وقبائل كردفان

ودارفور وغيرهم، وبفضل هذه الخيول تمكنت قوات إسماعيل بن محمد علي باشا من أن تصل حتى فازوغلي جنوباً، وشرقاً حتى التاكا، بالإضافة إلى إقليم كردفان الذي أصبح تحت سيادة محمد علي باشا بفضل صهره محمد بك الدفتردار.

وفي فترة الخديوية (1821-1885م) في السودان كان لكل مديرية سودانية حامية عسكرية، وينقسم الجنود فيها إلى قسمين، القسم الأول جنود الجهادية والقسم الثاني الباشبوزق. وتضم هذه الفرقة المشاة والفرسان الذين يركبون الخيول والجمال، ومعظمهم من الشايقية والأتراك والمغاربة.⁽⁴⁾

قوات الباشبوزق من العناصر القتالية التي عُرفت باستخدامها للخيول في فترة الخديوية في السودان، وهم عناصر من الجيش الحكومي يطوفون بالمدن والقرى السودانية بهدف جمع الضرائب وإرهاب الأهالي، وعندما يظهرون في تلك المدن والقرى يخافهم الناس، وكان شكلهم يبعث الخوف في النفوس، ويركبون الخيول ويحملون السياط التي تلهب ظهور كل من يرفض أن يدفع للحكومة، وقد ساهم الباشبوزق في هجرة الأهالي بصورة مباشرة من قراهم⁽⁵⁾.

وقد تم استيعاب قوات قبيلة الشايقية، القبيلة التي تمتلك عدداً من الخيول في خدمة الحكومة التركية، وقام محمد علي بتعيين زعيمهم الملك شاويش ضابطاً على جنوده، وعُيِّن شيخ عبود شيخ السواراب على رجاله، ودخل الشايقية الخدمة العسكرية تحت لواء الباشبوزق وكانت لهم خيولهم الخاصة⁽⁶⁾.

الخيول في المهديّة:

لقد ظهر دور الخيول والإبل بوضوح في معارك المهديّة ضد قوات الخديويّة حيث نجد في معركة راشد بك أيمن ضد المهدي في قدير أن المهدي استخدم في هذه المعركة قوات الخيالة التي شكلت جناحين للقوات المقاتلة، وتمكن من خلالها تحقيق نصر حاسم وسريع⁽⁷⁾. وضمت قوات الشلالي التي تحركت للقضاء على قوات المهدي في العام 1882/1299م في قدير 500 من الخيالة و600 مقاتل على الهجن من مجموع قوات الحملة الذي بلغ 3000 مقاتل⁽⁸⁾.

استفاد الإمام المهدي من الخيول بصورة كبيرة، وكان يقوم باختيار أهل الثقة لقيادة هذه الخيول، ولذلك اعتمد عليهم في جمع المعلومات عن قوات هكس باشا التي تحركت من الخرطوم للقضاء عليه في الأبيض⁽⁹⁾.

من الأسباب التي دفعت المهدي لتكوين قوة الاستطلاع أو (فرساناً للاستطلاع)، اتساع مسرح معاركه في كردفان. ومن الواجبات التي أوكلت لهذه القوات:

- ضمان انسياب المعلومات والأخبار عن تحركات هكس، وموقفهم وخططهم.
- السيطرة على أرض المعركة.
- العمل على مضايقة وإرهاب العدو، ومحاربته نفسياً.

وقد تكوّنت فرقة الاستطلاع من راكبي الخيول، حيث تكونت من 3000 فارس أغلبهم مسلحون بالبنادق تحت قيادة أبو قرجة وعبد الحليم مَسَاعِد وعمر الياس أم برير والشيخ فضلوا أحمد.⁽¹⁰⁾ واستطاعت هذه المجموعة أن تحقق نجاحاً كبيراً في المهمة التي أوكلت إليها، وعملت على ربط ومد المهدي بالمعلومات، حيث أنّ المهدي كان يضع الخطط على ضوء المعلومات التي تُرفع إليه.

استفاد المهدي وبصورة واضحة من فرسان الاستطلاع ومن الأخبار الواردة عن الحملة، وقد ترجم هذه المعلومات لخطط عسكرية مُحكمة كان لها الأثر الكبير في انتصار قوات المهديّة⁽¹¹⁾ وعندما حاصرت قوات المهديّة الخرطوم طلب الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل حاكم دارفور إرسال أعداد من قوات البازنقر والجهادية، والخيول، وذلك لدعم القوات المحاصرة للمدينة (... عَجَّلُوا بِإرسال جانباً من الجهادية وجانب من البازنقر بأسلحتهم الطرفين وجانب من الخيول...)⁽¹²⁾.

وقد اعتمدت الدولة المهديّة بصورة كبيرة على الخيول والإبل، والمراكب، والبواخر في حمل البريد من العمالات المختلفة إلى أم درمان حاضرة الدولة المهديّة، ومنها أيضاً حملت الرسائل والخطابات والتوجيهات الشفهية والمكتوبة إلى عمالات الدولة المختلفة، ولكن واجهت عملية البريد ونقله العديد من المشاكل والتي من أهمها ندرة الخيول، وقد وضع ذلك عند الأمير مساعد قيدوم بعد سقوط كسلا في يد القوات الإيطالية والأحباش، حيث أنه لم يجد خيول لنقل البوستة للخليفة عبد الله وقام باستخدام

البغال رغم هزالها، وأوضح للخليفة عبد الله بأنه محتاج إلى جمال أو خيول البريد حتى يتمكن من التواصل مع أحمد فضيل والأمير عثمان دقنة وغيرهم من الأمراء والقادة⁽¹³⁾.

قوات الخيالة:

بالإضافة للخيول التي عملت في خدمة بريد الدولة المهدية كان هناك قوات مهمة أطلق عليها قوات الخيالة اعتمدت على الخيل في قتالها، وأغلب قوات الخيالة في الدولة المهدية كانت من البقارة، وقد اعتمد الخليفة عبد الله على استيراد الخيول من دارفور، وقد خصص عددا من الفرسان أوكل إليهم مهمة الاستطلاع البعيد والعمليات التصادمية أثناء المعارك.



الخليفة عبد الله على فرسه

وهناك عاملان يحددان ما إذا كان المقاتل راجلاً أم راكباً، العامل الأول هو همة المقاتل، والعامل الثاني الاستطاعة المادية للمقاتل ومقدرته على شراء فرس، لذلك كان عدد الخيالة غير ثابت، والرغبة والطموح للمقاتلين للقتال على ظهور الخيول أراحت الخليفة عبد الله من مشقة شراء الخيول وتوزيعها على الجيش، وأمّا سلاح الفارس فهو مسلح بحربة طويلة وسيف يتقلده على جنبه الأيسر، وإذا كان في مهمة استطلاعية فيتم تسليحه ببندقية وسبعة أحزمة ذخيرة، وكل الفرسان يلبسون عمائم حمراء وحزام أحمر.



الأمير عثمان دقنة (أمير الشرق)



الأمير عثمان دقنة على فرسه في مدينة بورتسودان قبل إزالته

الاعتناء بخيول البريد:

بلغ عدد الجمال التابعة لمحمود كرار المسؤول عن البريد في سنة (1312هـ / 1895م) خمسين جملاً في أم درمان. وقد كان يخصص لنقل البريد أفضل الجمال، ويتم اختيار أفضل الرجال لهذه المهمة، وذلك لأن رجال البريد يعملون على مراقبة الأقاليم ويقومون برفع التقارير الشفهية للخليفة في أم درمان، والتي كانت تتضمن أحوال العمالات (الأقاليم) والأمراء وعامة السكان⁽¹⁴⁾، وأيضاً وجدت الخيول التي يتم استخدامها في نقل البريد في دارفور اهتماماً كبيراً من قبل الأمير عثمان آدم (جانو) وشدد في الاعتناء بها، وأكد ذلك في خطابه إلى الأمير محمد ود بشارة (... هذه خمسة فلاو من الخيول التي كانت بالطويشة فالأمل بعد وصولها تستلموها

وتراشوها بمعرفتكم...) ⁽¹⁵⁾ وهو يقصد أن هذه الخيول كانت في دارفور بعد وصولها إليكم يجب أن تعملوا على الاهتمام بها على أكمل وجه. وعندما واجه الأمير عبد الرحيم سالم ندرة في الجمال المخصصة لحمل البريد كتب للأمير يعقوب (جراب الرأي) يطلب منه توفير عدد منها وذلك بغرض تسهيل مهمة نقل البريد لمناطق المهديّة المختلفة ⁽¹⁶⁾.

ومما يدل على أن الخيول قد وجدت اهتماماً واضحاً من الأمير محمد ود بشارة، الذي طلب منه الاهتمام بالخيول وأصحابها مع صرف الغلال لها ولأصحابها، وأن تمكث هذه الخيول بطرف حمودة إدريس في شمال السودان، وألا تذهب لأي مكان، فقد أكد محمد ود بشارة لحمودة إدريس بأنه يعمل على جمع الأعشاب التي تستخدم كأعلاف للخيول من مناطق المحس في شمال السودان بغرض إرسالها لحمودة إدريس ليقوم بتوزيعها على الخيول التي معه بمعرفته وتحت إشرافه المباشر، كما طلب منه أن يقوم بتعيين شخص يقوم باستلام هذه الأعلاف ⁽¹⁷⁾.

وفي العاصمة أم درمان اهتم الأمير يعقوب بأمر الخيول المقاتلة وخيول البريد حيث استوعب أعداداً من قوات الجهادية في خدمة ورعي الخيول والحفاظ عليها وحمايتها من السلب أو الهروب، حيث كانت ترعى في منطقة الجزيرة وبالقرب من أم درمان ⁽¹⁸⁾.

المشكلات التي صاحبت عملية البريد في الدولة المهدية:

هناك عدد من المشكلات صاحبت عملية نقل وتوزيع وتسليم البريد في الدولة المهدية والتي منها: عدم توافر الخيول الجيدة بصورة راتبة، وفي بعض الأحيان يحدث التعدي على حاملي البريد من قطاع الطرق وغيرهم، الأمر الذي أدى إلى تدخل الخليفة في كثير من الأحيان لوضع الأمور في نصابها.

وعندما اندلعت المواجهة بين الخليفة عبد الله وقبيلة الجعليين، عمل الجعليين على قطع الطريق أمام عمال البريد الواصلين عبر النيل إلى أم درمان، وعندما حاول علي فرفار وكيل مركز ديم بربر إيصال عدد من الرسائل للخليفة في أم درمان، ولم يتمكن من ذلك، رفع البوستة للأمير عثمان دقنة الذي استعان بمجموعة من الهجانة لحمل هذه البوستة بطرق غير التي تحت سيطرة الجعليين⁽¹⁹⁾.

ولضمان سرية الرسائل والخطابات التي ترد إلى الخليفة عبد الله فقد صدر توجيه من الخليفة للأمير عثمان دقنة يهدف إلى ضمان سرية الرسالة، حيث طلب منه أن يقوم بإرسال الرسائل مع (الرطانة) يقصد بهم كل الهدندوة ولا أحد غيرهم (...لقد وصل إلينا كريم كتاب السيادة رقم 7 جمادي الثاني وما تضمنه من أنه من الآن فصاعدا إذا أرسلنا بصطة للسيادة أن نرسلها مع الإخوان الرطانة، ولا نرسلها مع غيرهم من الأجانب... الخ)⁽²⁰⁾.

هذا الإجراء الذي أقدم عليه الخليفة عبد الله بالتشاور مع الأمير عثمان دقنة يؤكد حرص الخليفة عبد الله على ضمان سرية الرسائل المتبادلة بينهما وألا يطلع عليها أي شخص غيرهما وذلك لعدة أسباب، منها:

- منطقة شرق السودان من مناطق الحدود وهناك نشاط استخباراتي كثيف جداً، فلخوف الخليفة من الاختراقات الأمنية ووقوع رسائله في يد الأعداء فضل أن يتم إرسالها بواسطة مجموعات الهدندوة.
 - حاول الخليفة عبد الله الاستفادة من عدم معرفة الهدندوة باللغة العربية لضمان سلامة محتوى الرسائل المرسلة من الأمير عثمان دقنة إلى الخليفة والعكس.
 - ثقة الخليفة عبد الله في الأشخاص الذين يتم اختيارهم من قبل الأمير عثمان دقنة للعمل في نقل البريد بين أم درمان وشرق السودان.
- ومن أشهر الخيول التي عرفها أهل السودان:
- خيول الملك بعانخي.
 - خيول الكشاف.
 - خيول الدناقلة.
 - خيول فرسان الشايقية.
 - خيول الفونج.
 - خيول قبائل المسيرية والرزيقات.

- فرس الأمير عثمان دقنة.
- فرس كتشنر.
- فرس الخليفة عبد الله.
- فرس الزبير باشا رحمة.



تمثال كتشنر في الخرطوم وهو على فرسه قبل نقله إلى بريطانيا

هوامش الفصل السابع

- (1) أنساب الخيول العربية القديمة والحديثة، مدارات ونقوش، مركز جمال بن حويرب، دبي، الإمارات العربية المتحدة..
- (2) محمد إبراهيم أبوسليم، أدوات الحكم وولاية العهد في السودان، ص 89-90.
- (3) المرجع نفسه، ص 94.
- (4) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2007م، ص 156.
- (5) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مركز عبد الكريم ميرغني للنشر، أم درمان، 2002م، ص 77.
- (6) بشير كوكو حميدة، صفحات من التركية والمهدية، دار الإرشاد، الخرطوم، (ب. ت.)، ص 46.
- (7) عبد الودود شلبي، مرجع سابق، ص 189.
- (8) FerqusNicoll, the sword of the prophet. Sutton. Publishing, (London 2009AD). p. 95
- (9) د. و. ق. خ/ مهديّة A/2 10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 28 ربيع أول 1301هـ، ديسمبر 1883م، ص 157.
- (10) محمد محمد البيلي يونس، الاستخبارات في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة السندس، الكويت، 1995م، ص 21.
- (11) عصمت حسن زلفو، شيكان، مرجع سابق، ص 52.

- (12) محمد محمد البيلي، مرجع سابق، ص104-105.
- (13) د. و. ق. خ/ مهديّة 5/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 9 صفر 1312هـ، فبراير 1895م، ص104.
- (14) محمد إبراهيم أبوسليم، تاريخ مدينة الخرطوم،، ص109.
- (15) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/36/1 من عثمان آدم إلى محمد ود بشارة، 25 رمضان، 1307هـ، أبريل 1890م ص21.
- (16) د. و. ق. خ/ مهديّة 2/6/1 من عبد الرحيم سالم إلى الأمير يعقوب، 21 رمضان 1314هـ، فبراير 1897م، ص18.
- (17) د. و. ق. خ/ مهديّة 6/3/1 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 20 شعبان 1313هـ، فبراير 1896م، ص8.
- (18) د. و. ق. خ/ مهديّة 2/A8/2 من جاد الله عيسى إلى الأمير يعقوب، جماد أول 1315هـ، سبتمبر 1897م، ص75.
- (19) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/31/3 من عثمان دقنة إلى الخليفة عبد الله، 27 ربيع 1315هـ، فبراير 1898م، ص422.
- (20) د. و. ق. خ/ مهديّة 1/31/3 من عثمان دقنة إلى الخليفة عبد الله، 18 جمادي الثاني 1315هـ، فبراير 1898م، ص421.

الفصل الثامن

الجمال وخدمة البريد في الدولة المهدية

الفصل الثامن

الجمال وخدمة البريد في الدولة المهدية

عُرفَ الجمل في وادي النيل منذ قديم الزمان وقد استخدم للركوب وللحمل، وقد عُرفَ جمل الحمل بجمل (الحوية، والبدين)، ويأتي السودان في المرتبة الثانية عالمياً، بعد الصومال، في عدد الجمال والجمال في السودان أربعة أنواع، هي:

- **العربي:** يأتي الجمل العربي في المرتبة الأولى في جمال السودان ويتميز هذا النوع من الجمال بحجمه الضخم ورأسه الكبير وخفه العريض، وهو مخصص للحمل.
- **الرشائدي:** يأتي الجمل الرشائدي في المرتبة الثانية، وهي قليلة العدد، وتتميز بصغر الحجم وقصر الأرجل وقوة الجسم ويستخدم في الحمل أيضاً.
- **العنابي:** يأتي الجمل العنابي في المرتبة الثالثة، ويمتاز بصغر الحجم وطول الأرجل وصغر الرأس والسرعة، وهو للركوب.
- **البشاري:** يأتي الجمل البشاري في المرتبة الرابعة، وهو من إبل الركوب، ويمتاز بطول الأرجل، وخفة الوزن، وكذلك صغير السنام والرأس.

والجمال البشاري مشهور بسرعته وطول نفسه، وقد تم تهريب سلاطين باشا من السودان عبر جمال بشارية، وأيضاً سقط من على ظهره (دك هيلدر) بطل قصيدة (روديارد كيبلنج) «الضوء الذي خبأ»، وقد ذكره المتنبى في شعره حيث قال:

ألا كل ماشية الخيزلى * فدا كل ما شية الهيدبى
وكل نجاةٍ بجأوية * خوف وما بي حُسن المشى⁽¹⁾

وهناك عدد من القبائل السودانية التي عُرفت بتربيتها للجمال والتي منها قبائل الشكرية، والكبابيش، والبنى عامر، والزبيدية، والرشايدة، والبطاحين، وكنانة، والزيادية، والهندودة وغيرهم من القبائل.

ومن الجمال التي أسهمت في نقل أقيم وأفضل الكنوز السودانية الجمال التي تم استخدامها بواسطة الطبيب الإيطالي (جوزيبي فيرليني) الذي حضر إلى السودان في العام 1830م ضمن قوات الكشافة، وتمكن من العمل في عدد من مناطق السودان، ونتيجة لاطلاعه على مذكرات الرحالة (فريدرك كايو) التي تحدث فيها عن مروي ومكانتها وما تحتويه من آثار عظيمة، عندها قرر فيرليني الحصول على الذهب والمقتنيات السودانية الموجودة بأهرامات البجراوية، وهي أكبر تجمع للأهرامات في العالم يعود للحضارة المروية، وقد نجح في تكوين فرقة بغرض الوصول إلى البجراوية مستخدماً الجمال، وبعد أن تمكن من الحصول على كنز الملكة (أمانى شخيتو)، الذي يُعد أقيم كنز سوداني حتى الآن، عمل على نقل هذه الكنوز على ظهر بعض الجمال واتجه بها نحو القاهرة، ويُرجح أنه استخدم الجمال البشارية، وذلك لما تتميز به

من سرعة وخفة في الحركة، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن فيرليني استغل الجمال حتى مدينة بربر ومنها استغل باخرة نقلته إلى القاهرة التي وصلها في العام 1836م.



فيرليني ومجموعة من الجمال أمام أهرامات البجراوية

وفي عهد حكمدارية غردون الأولى (1877-1879م) عرف السودان الجمل (أبو سنامين)، حيث تم إحضار عدد منها من الصين إلى السودان، وذلك بغرض العمل في خدمة نقل البريد بين بربر في شمال السودان وسواكن على ساحل البحر الأحمر⁽²⁾.

يمكن القول أن غردون باشا حاول الاستفادة من هذه الجمال والتي خبرها وتعامل معها عندما كان في الصين، ويعتقد أنها لم تعش كثيراً في السودان ولم يكتب لها النجاح، بدليل أنه لا يوجد لها أي نسل معلوم لنا في السودان بعد ذلك التاريخ.

ومن أشهر النوق والجمال في تاريخ السودان:

- الجمال التي استخدمها فيرليني لتهريب ذهب الكنداكة أمانى شخيتو.
 - الجمل الذي ورد في مديح حاج الماحي، والذي كان يرغب في أن يحج عليه للبيت الحرام.
 - الجمل الذي كانت تمتطيه مهيرة بت عبود لحث أهلها الشايقية لمقاتلة الجيش الغازي.
 - ناقة الإمام المهدي.
 - الجمال التي هرب عليها سلاطين باشا.
 - جمل ود الفراش (الباردقيم) وقد ظهر على أول طابع بريدي في السودان، ثم بعد ذلك ظهر على العملة السودانية.
 - الجمل الذي كان على البيرة.
 - الجمل (الهجين) الذي كان يمتطيه غردون باشا على مجسمه بالخرطوم وتم نقله بعد ذلك إلى بريطانيا، وهذا (الهجين) كان يمتلكه جورجىوس شقيق يوسف ميخائيل كاتب المديرية في الأبيض، باعه للحكومة الخديوية في السودان، والتي قامت بإعطائه لغردون باشا عند عودته من الخرطوم للمرة الثانية، وقد تغنت البنات من قبيلة الغديات في كردفان بجماله:
- كير جورجىوس أبو غوفه
فجو لي الحوش نشوفه
خمسین ريال دقوهم في المخلقوفه

- جمل العصارة الذي يُستخدم في عصر الزيوت في معظم مناطق السودان.
- جمال الهمباتة.
- جمال الهجانة، وهي أحد الأسلحة المهمة في تاريخ السودان وحتى اليوم.



ود الفراش على جملة (الباردقيم)



تمثال غردون عند زقاق القديس مارتن بلندن
جوار الصالة الوطنية للفنون التشكيلية



تمثال غردون أمام قصر الحاكم العام
القصر الجمهوري بالخرطوم



تمثال غردون بمدرسة غردون بمدينة WOKING

صُنِعَ تمثال غردون وهو على ظهر جمل بواسطة Onslow Ford في العام 1890م، ويبلغ وزنه خمسة عشر طناً من البرونز، نُصِبَ لأول مرة في زقاق القديس مارتن بلندن جوار الصالة الوطنية للفنون التشكيلية، وذلك قبل أن يتم ترحيله إلى الخرطوم، وقد استهجن عدد من البريطانيين تصوير غردون باشا وهو رمزهم الأسطوري على ظهر جمل، فكان رد فوردي أن غردون كان يحب الجمال وهي وسيلة الرئيسة في المواصلات. تقرر نقل التمثال إلى الخرطوم ولكنه سقط في نهر التايمز ضمن حمولة الباخرة (سيداردين)، وذلك بسبب اصطدامها مع باخرة أخرى، وتم انتشاله بعد ذلك بواسطة الباخرة (ليسبيان) التي قامت بنقله إلى ميناء الإسكندرية، وتم نقله هذه المرة بالقطار حتى الشلال الأول، ولكن التمثال غرق للمرة الثانية في النيل أثناء نقله على باخرة نهرية، وتم انتشاله مرة أخرى ونقل بالباخرة حتى الحدود السودانية، ثم نقل بالقطار حتى محطة الخرطوم بحري، ولأن كبري النيل الأزرق قد تم تشييده فقد تقرر نقله بباخرة نهرية حتى قصر الحكمدارية (قصر الحاكم العام) القصر الجمهوري حالياً، وتم تشييد قاعدة حجرية له أمام القصر، ولكنها انهارت بسبب ثقل التمثال. وفي نهاية الأمر تمت معالجة القاعدة ونصب التمثال بنجاح في العام 1904م، وفي العام 1959م قررت حكومة الفريق إبراهيم عبود إعادة التمثال إلى بريطانيا، وتم إسناد مهمة النقل لعمال الأشغال في ذلك الوقت، وقد حضر عملية نقل التمثال السفير البريطاني بالخرطوم (أدوين شامبان أندروز). وبعد ذلك قامت بريطانيا بإهداء التمثال لمدرسة غردون للبنين بمدينة WOKING (3).

شهدت عملية النقل حضور عدد كبير من السودانيين وممثلي
البعثات الدبلوماسية، وقد عُزف النشيد الوطني السوداني
والبريطاني.



لوحة توضح هروب سلاطين على جمال بشارية



لوحة توضح اختباء سلاطين بين الجبال

استخدام الجمال (الهجانة) في خدمة البريد والاستطلاع:

وقد استخدمت الدولة المهدية الجمال في خدمة البريد والقتال، وكذلك في حمل البضائع والسلع بين أقاليم السودان المختلفة، وكذلك استخدمت القوافل التجارية الجمال لترحيل السلع مع سواكن ومصر ودارفور، وفي البريد تم استخدام الجمال حيث اعتمد بريد الخليفة عبد الله على الجمال بصورة كبيرة في نقل الرسائل والخطابات، وهي وسيلة الاتصال بين القيادة العليا في أم درمان وبين قادة المناطق العسكرية وقادة المناطق والحاميات الفرعية التابعة لهم. أمّا مناطق دنقلا وبربر والرجاف والنيل الأبيض فالبوأخر النيلية كانت وسيلة المواصلات في معظم الأحيان.

بالإضافة للخيول فقد اعتمدت الدولة المهدية على الجمال في نقل البريد والاستطلاع لكشف تحركات العدو، وقد كان هناك اهتمام واضح بهذه الجمال وسرعتها في الاستجابة عندما تتم الحاجة إليها بواسطة الأمراء والعمال وأفراد الاستخبارات. وعندما تم الطلب من ميرغني صالح سوار الذهب، ومحمد الأمين عبد الحليم، من محمد ود بشارة لتوفير جمال بغرض الاستطلاع، لم يتأخر ود بشارة بل قام بالكتابة لحمودة إدريس بسرعة لتوفير المطلوب من هذه الجمال⁽⁴⁾. كما طلب محمد ود بشارة من صالح علي الاهتمام بجمال البريد التي وصلت إليهم، وقد قام صالح بما طُلب منه على أكمل وجه وأتم صورة⁽⁵⁾.

كما كتب الأمير عبد الرحمن النجومي في (8 القعدة 1306هـ/ 7/7/ 1889م) إلى الأمير يونس ود الدكيم عندما كان متوجهاً لغزو مصر وواجهته مشكلة ندرة جمال البريد، ولحل تلك المشكلة طلب النجومي من ود الدكيم توفير عدد من الجمال لكي تساعد في نقل البريد وسرعة وصول الأخبار إليه وإلى الخليفة عبد الله⁽⁶⁾.

وبالرغم من النداءات المتكررة من قبل الأمير النجومي ليونس ود الدكيم والمتعلقة بتوفير جمال البريد إلا أن ود الدكيم لم يهتم بأمر الأمير عبد الرحمن النجومي، ولذلك كتب له مرة أخرى خطاب آخر بتاريخ (17 القعدة 1306هـ/ 16/7/ 1889م) يؤكد فيه حاجته لجمال البريد، كما أخبره بأن جميع الجمال التي معه قد ماتت، ولذلك فهو في أمس الحاجة إلى عشرين جمل لخدمة البريد والاستخبارات⁽⁷⁾.

تواصلت الطلبات من الأمير عبد الرحمن النجومي للأمير يونس ود الدكيم بغرض الإسراع في إرسال جمال البريد، وأخيراً ومع إلحاح الأمير النجومي وطلباته المتكررة من أجل الحصول على جمال لخدمة البريد وافق الأمير يونس ود الدكيم وقام بإرسال عدد منها، ولكي يعمل على تأمين الجمال المرسل إلى الأمير النجومي قام الأمير يونس ود الدكيم بإرسال عدد من مقاتلي الأنصار مع جمال البريد بغرض حمايتها من هجمات الأعداء⁽⁸⁾.

من خلال تتبع جمال وخيول البريد في شمال السودان نجد أن الأمير محمد ود بشار قد اهتم بها اهتماماً كبيراً وعمل على استخدامها كقوة استطلاع بغرض جمع المعلومات من مناطق الأعداء، وأوكل إلى راكبيها مهمة الاستطلاع وجمع المعلومات، وأيضاً نقل البريد في مناطق فرقة وصرصر ومكركي في شمال السودان، وقد شدد على حمودة إدريس بضرورة الاهتمام بهذه الخيول والجمال وألا تستخدم في أي غرض غير الاستطلاع والبريد، وقدم له المزيد من الخيول والجمال بغرض المساعدة في جمع أكبر قدر من المعلومات، وسرعة إيصال البريد بالصورة التي تمكن ود بشار من تقدير الموقف وإطلاع الخليفة عبد الله في أم درمان بتطورات الوضع في شمال السودان⁽⁹⁾.

وعندما يرغب أحد الهجاة في تغيير جملة، يقوم بالكتابة للخليفة عبد الله ويطلب منه تغيير جمل البريد، مع إيضاح الأسباب التي دعت له لتغيير الجمل المعني، وعندما يقتنع الخليفة بالأمر تتم الموافقة على الطلب. وما يؤكد ذلك، أن علي بخيت ومحمد

الحاج عبد الوهاب الهجان قد كتبوا للخليفة عبد الله، يطلبون تغيير جمال البريد، فكتب الخليفة بدوره للنور الجريفاوي قائلاً (... حيث أنهم ذكروا أن جمالهم الحاملين عليها البوستة تعجز، فغيروها بجمال طيبة لأداء مصلحة الدين...) (10).

مما سبق يتضح أن الخليفة عبد الله كان يهتم بالطلبات التي ترفع إليه بغرض تغيير جمال البريد، ويقوم بنفسه بمراجعة الطلبات ثم الموافقة عليها، ثم مراسلة الشخص المختص بتنفيذ تلك الأوامر.

السروج:

تستخدم السروج للركوب على ظهور الدواب: الجمال، والخيول، والحمير، والثيران التي برعت قبائل البقارة في السودان في ترويضها والركوب عليها لأنها تتناسب مع استخدامات قبائل البقارة في كل من كردفان ودارفور، وقد تعددت وتوعدت أشكال السروج في السودان، وتُعد (المخلوفة) للجمال من أجمل أنواع السروج، وقد تغنى بها شعراء البادية لارتباطها بالجمال والسفر والترحال من مكان إلى آخر.

وتتكون المخلوفة (الحوية) وهي سرج البعير من عصي أو عيدان بدلا من الجوالس (11).



المخلوفة (سرج البعير)

يستخدم خشب الطندب لصناعة سروج الإبل والخيول في السودان، ويكون سرج الحصان من جلد التيس الني أو الضأن إضافة إلى لبدة، وركاب، ورقبية، ولجام، والسرع الذي يستخدم لتوجيه الحصان، ويتكون سرج الجمل من جلد (القد) وهي عبارة عن شرائح جلد البقر الني، وبردعة ورقبية، ومحقة للربط، وهكسة للجام، ويسمى سرج الإبل بالمخلوفة أو الحدبة⁽¹²⁾.



مجموعة من فرسان البجا على ظهور الإبل

هوامش الفصل الثامن

- (1) محمد إبراهيم أبوسليم، أدوات الحكم وولاية العهد في السودان، ص95.
- (2) صحيفة التحرير، متحف بيت الخليفة يروي صفحات مهمة من تاريخ السودان، 25 مايو 2017م.
- (3) قصة تمثال غردون باشا، شبكة نبأ الإخبارية الإلكترونية، 14 أكتوبر 2018م.
- (4) د. و. ق. خ/ مهدية 1/36/6 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 26 القعدة 1313هـ، فبراير 1896م، ص16.
- (5) د. و. ق. خ/ مهدية 1/36/6 من محمد ود بشارة إلى صالح علي، 24 ربيع آخر 1313هـ، فبراير 1896م، ص6.
- (6) محررات عبد الرحمن النجومي، (جمع) محمد إبراهيم أبوسليم، مركز أبوسليم، الخرطوم، 2005م، ص 147.
- (7) المصدر نفسه، ص 151.
- (8) محررات عبد الرحمن النجومي، مصدر سابق، ص164.
- (9) د. و. ق. خ/ مهدية 1/3/6 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 1شعبان 1313هـ، أبريل 1895م، ص11.
- (10) د. و. ق. خ/ مهدية 33/5/3 من الخليفة عبد الله إلى النور الجريفاوي، 18 رمضان 1304هـ، أبريل 1886م، ص8.
- (11) اللهجة السودانية، صفحة توثيقية على الإنترنت.
- (12) عبد الوهاب جمعة، صناعة السروج، موقع الراكوبة الإلكترونية، 19 مارس 2013م.

الفصل التاسع

المراكب والبواخر وخدمة البريد في الدولة المهدية

الفصل التاسع

المراكب والبواخر وخدمة البريد في الدولة المهدية

بعد سقوط الإدارة الخديوية في السودان وتحرير الخرطوم في 26 يناير 1885م وضعت الدولة المهدية يدها على عدد من البواخر وهي: بوردين، والصافية، والإسماعيلية، والفاشر، ومحمد علي، والمسلمية، والتوفيقية، والطاهرة التي كانت تسمى الزبير باشا.⁽¹⁾ وكانت ترسو في ترسانة السفن الموجودة في الخرطوم التي يعمل بها عدد من المصريين⁽²⁾، وقد استفادت الدولة المهدية من الأشخاص الذين عملوا مع الحكم التركي في تشغيل وصيانة البواخر، والذين حققوا نجاحات واضحة في هذا الجانب.⁽³⁾

لقد وجدت البواخر في الدولة المهدية اهتماماً كبيراً من الأمير يعقوب، الذي كان يهتم بأمر صيانتها وتجهيزها وتسليحها، وقد وضع تشدده في أمر الصيانة حيث كان يعاقب كل عامل لا يبلغ عن أي عطل يحدث بالباخرة التي معه، أو السلاح المزودة به. وفي حالة وجود خلل لم يتم التبليغ عنه في واحدة من البواخر يُعد الشخص المسؤول عن الباخرة خائن وجزاءه القتل، وكانت الإجراءات الصارمة من قبل الأمير يعقوب تجاه أصحاب البواخر تدفعهم للإسراع بالتبليغ عن الأعطال التي تحدث في بواخرهم خوفاً من البطش والتتكيل.⁽⁴⁾ وكانت البواخر في الدولة المهدية تعمل في شقين مدني

وعسكري، ويتم تزويدها بالمدافع عندما تكون في مهمة عسكرية، والشخص الذي كان يقوم بتزويد البواخر بمدافعها يدعى حميدة النجار وهو أسطى في ترسانة السفن.⁽⁵⁾

سفريات البواخر :

كانت الرحلات التي تقوم بها البواخر من أم درمان إلى مناطق السودان المختلفة، تكتب في شكل تقارير يومية مفصلة، على أن يوضح التقرير خط سير الباخرة وما تعرضت له خلال اليوم بالتفصيل الدقيق. فقد كُتبت رحلة الباخرة الصافية إلى فشودة في ربيع آخر 1313هـ/سبتمبر 1895م بالتفصيل، وما حصل لها خلال تلك الرحلة.⁽⁶⁾ وعندما غرقت الباخرة المنصورة بالقرب من الرجاف، كتب محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله يخبره بما حدث لها، حيث أنها غرقت ومعها جميع مهماتها الحربية.⁽⁷⁾



الأمير محمد عثمان أبو قرجة (أمير البرين والبحرين)

أسهمت البواخر النيلية في الدولة المهدية (1302- 1316هـ/ 1885-1898م) في نقل وإيصال البريد والغلال والمقاتلين والبضائع إلى أطراف الدولة المختلفة، وعملت على ربط العاصمة أم درمان بالعمالات (الأقاليم) البعيدة، حيث وصلت إلى مناطق واو والرجاف ومناطق خط الاستواء جنوباً، كما أنها نقلت أوامر الخليفة عبد الله إلى زعيم الشلك، وأسهمت في ربط مناطق جنوب السودان بالعاصمة أم درمان.⁽⁹⁾

وقد جابت بوادر الدولة المهدية العديد من مناطق السودان من أقصى شماله وحتى مناطق الرجاف جنوباً على النيل الأبيض، وكذلك تمكنت البواخر والمراكب الكبيرة من الوصول إلى مناطق سنار وفازو غلي على النيل الأزرق جنوباً، ونجد أن الجمال والسفن والبواخر والمراكب النيلية والخيول قد لعبت دوراً مهماً في ربط أجزاء الدولة المهدية ببعضها البعض.

صيانة البواخر :

استعان الأمير يعقوب بالمهندسين المهرة في صيانة البواخر، وقد كان هؤلاء المهندسين مقيمين في ترسانة السفن، ويقع على عاتقهم صيانة السفن وتجهيز قطع الغيار اللازمة لها. وكانت هنالك صيانة دورية تتم للبواخر، وعادة ما يكلف بها المهندسين في الترسانة الحربية ورئيس الباخرة المحددة، وكان يصاحب عملية الصيانة توقيع تعهدات من المهندسين، ويحتوي التعهد على أن الباخرة لن يحدث بها عطل بعد صيانتها، وأن الصيانة قد أنجزت بالصورة المثلى، وتسلم الباخرة إلى قائدها بعد تجربتها.⁽¹⁰⁾

وقد أوضحت تلك التعهدات التي تؤخذ على المهندسين والعاملين في الترسانة الحربية وترسانة السفن، مدى خوف الأمير يعقوب من التلاعب بعملية الصيانة التي تتم للسفن، وللمحد من هذا الخوف نجده قد اتجه إلى توقيع التعهدات قبل البدء في تنفيذ عملية الصيانة. ونرى أنّ هذا الإجراء إجراء فعّال في ضبط عملية الصيانة وإنجاز العمل بالصورة المطلوبة، خاصة وأن تلك التعهدات قد كانت تردع كل شخص يحاول التلاعب بصيانة الباخرة التي يشرف عليها، بل وتدل على أهمية البواخر للدولة المهدية.

لكل ما سبق يتضح الدور المهم الذي لعبه البريد وساعي البريد في ربط أجزاء الدولة المهدية المختلفة بالعاصمة أم درمان، كما أسهم في إعطاء الخليفة عبد الله صورة واضحة لما يدور في العمالات البعيدة والقريبة، ولذلك نجده يطلب سماع ساعي البريد قبل استلام الرسائل منه، لأنّ من رأى ليس كمن كتب له رسالة.

هوامش الفصل التاسع

- (1) مكى شببكة، السودان عبر القرون، ط2، دار الجيل بيروت، 1991م ص708.
- (2) ونجت، مصدر سابق، ص350.
- (3) د.و.ق.خ/ مهدية 1/32/1 من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله، 12 جماد آخر 1311هـ، يناير 1894م، ص44.
- (4) حاتم الصديق محمد أحمد، مرجع سابق، ص128-129.
- (5) د.و.ق.خ/ مهدية 2/A10/1 من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، 23 القعدة 1314هـ، أبريل 1897م، ص69.
- (6) د.و.ق.خ/ مهدية 2/1/6 كشف الترسانة الحربية، ص94.
- (7) د.و.ق.خ/ مهدية 2/5/1 من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، 4 الحجة 1310هـ، مايو 1892م، ص233.
- (8) د.و.ق.خ/ مهدية 2/1/6 ترسانة الخرطوم، ص95.
- (9) د.و.ق.خ/ مهدية 1/63/3 من خليل حسين إلى النور إبراهيم الجريفاوي، 8 الحجة 1314هـ، مايو 1896م، ص38.
- (10) د.و.ق.خ./مهدية من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة بخصوص صيانة إحدى البواخر 1303هـ، ص35.
- (11) د.و.ق.خ/ مهدية/ من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة بخصوص صيانة إحدى البواخر 1303هـ، ص36.
- (12) د.و.ق.خ/ مهدية من بشير كمبال إلى الخليفة عبد الله يشرح تأخره ومن معه وحال الوابور التي معه في منطقة الكوة، ويوضح أيضا أنه لم يتم بختم هذا الخطاب لأن الخليفة عبد الله لم يعطه الإذن بذلك، 7 ربيع 1309هـ، ص48.

الخاتمة

استفادت الدولة المهدية في السودان (1302-1316هـ/1885-1898م)، من أهم مرافق الخديوية المصرية في السودان (1821-1885م)، ألا وهو البريد وملحقاته من بواخر ومطبعة وورق وغيره، وقد اعتمدت الدولة المهدية في تسيير أمورها الداخلية وتنظيمها على البريد، حيث قامت بتأسيس إدارة خاصة له، كما اهتمت بأمر المطبعة الحجرية التي غنمتها بعد تحرير العاصمة الخرطوم في 26 يناير 1885م، وقد عرف الخليفة عبد الله أهمية المطبعة ودورها في تنشيط حركة الطباعة والنشر في الدولة الوليدة، فاستقدم للمطبعة العديد من الأشخاص الذين لديهم معرفة سابقة بعمل المطابع وطرق تشغيلها وإدارتها، أمثال مختار بادي وغيره من موظفين وعمال، وتم إلحاقهم ببيت المال الأمر الذي يدل على أهميتها بالنسبة للخليفة، وقد أسهمت هذه المطبعة في طباعة الكثير من المنشورات التي كتبها الإمام المهدي والخليفة، وكذلك الكتب التي قام بتأليفها عبد القادر الكردفاني، والحسين الزهراء، والعوام وغيرهم، كما اهتمت أيضاً بطباعة راتب المهدي والقصائد التي مجّدت المهدية.

وما يبرر اهتمام الخليفة بالمطبعة أنها وفّرت له الوقت والجهد في إعداد الأوامر والتوجيهات والسجلات، وأسهمت في تسهيل الأمور الإدارية في الدولة الوليدة.

ومن خلال تتبع تاريخ الثورة والدولة نجد أنها نجحت وبصورة كبيرة في الاستفادة من غنائم الحكم التركي - المصري المختلفة،

في إعداد نظام بريدي تمكن من ربط أجزاء الدولة المختلفة، كما استفادت كذلك من الورق الذي غنمته المهديّة من المدن السوّدانية بعد تحريرها مثل الأبيض، والخرطوم، ودنقلا، وبربر، وكسلا، وغيرها من المدن الأمر الذي وفر لدولة المهديّة كما كبيرا من الورق مكّنها من إدارة شؤونها الإداريّة ومراسلاتها على أكمل وجه. ولتسهيل مهمّة البريد ونقل الرسائل عمل الخليفة عبد الله على تحديد شروط محدّدة لرجل البريد مما يدل على أهميّة وخطورة هذه المهنة في ذلك الوقت، كما تم إعداد البواخر والخيول والجمال الجيدة بهدف سرعة إيصال البريد من العاصمة أم درمان إلى باقي الأقاليم، وقد أسهم رجال البريد بصورة واضحة في ربط الخليفة عبد الله بالأقاليم، وأصبح البريد هو عين الخليفة التي تراقب كل شيء في أطراف الدولة الممتدة والمتراصة الأطراف، فكانت التقارير الوافية هي التي مكّنت الخليفة عبد الله وأركان حربه من اتخاذ العديد من القرارات المهمّة والحاسمة، وقد أسهم حاملي البريد في خدمة العمل الاستخباري في الدولة المهديّة داخليا وخارجيا، وقد برزت مجموعات من أفراد القبائل في حمل وخدمة البريد، فنجد العبابدة وبعض الجعليين والهندودة والتعايشة وغيرهم ممن أسهموا في حمل البريد لأطراف الدولة المختلفة.

كما أن نظام البريد قد أسهم في ربط مناطق الدولة المهديّة المختلفة، وقد وضع اهتمام الخليفة عبد الله بهذا المرفق المهم من خلال التسهيلات التي قدمها الخليفة عبد الله لحامل البريد، مع التدقيق والتشدد في عملية الاختيار لشغل هذه الوظيفة الحساسة، كما شكّل رجل البريد عنصراً مهماً من عناصر نقل الأحداث

وتصويرها للخليفة الأمر الذي ترتب عليه العديد من القرارات
تجاه العمال وقادة الجيش وعامة الناس في جميع أقاليم الدولة
المهدية.

المصادر والمراجع

أولاً الوثائق :

- (1) د. و. ق. خ/ مهدية 1/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 16 جماد آخر 1307هـ، أكتوبر 1890م.
- (2) د. و. ق. خ/ مهدية 5/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 11 محرم 1312هـ، مارس 1895م.
- (3) د. و. ق. خ/ مهدية 1/32/1 من إبراهيم الخليل إلى الخليفة عبد الله، غرة رجب 1310هـ، 1892م.
- (4) د. و. ق. خ/ مهدية 5/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله، 11 محرم 1312هـ، مارس 1895م.
- (5) د. و. ق. خ/ مهدية 1/3/7 من بشير كمبال، إلى الخليفة عبد الله، 12 ربيع آخر 1309هـ، فبراير 1891م.
- (6) د. و. ق. خ/ مهدية 1/6/2 من عبد الرحيم سالم إلى الأمير يعقوب، 11 القعدة 1314هـ، أبريل 1897م.
- (7) د. و. ق. خ/ مهدية 1/6/2 من عبد المجيد عنيف ومدني حسين إلى الأمير يعقوب، 22 ربيع أول 1314هـ، أغسطس 1896م.
- (8) د. و. ق. خ/ مهدية 2/1/3 من مساعد قيدوم إلى الخليفة عبد الله، 12 محرم 1310هـ، 1892م.
- (9) د. و. ق. خ/ مهدية 2/3/1 من مساعد قيدوم إلى الخليفة عبد الله، 21 ربيع ثاني 1309هـ، فبراير 1891م.

- (10) د.و.ق.خ/ مهدية 2/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله،
12 محرم 1310هـ، يوليو 1894م.
- (11) د.و.ق.خ/ مهدية 19A/1/1 من النور إبراهيم إلى الخليفة عبد
الله، 25 شوال 1305هـ/ 1887م.
- (12) د.و.ق.خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن
النجمي، 15 الحجة 1306هـ، أبريل 1889م.
- (13) د.و.ق.خ/ مهدية 1/7 من محمد سر الختم الميرغني إلى عبد
الرحمن النجمي، 7 ربيع آخر 1304هـ، ديسمبر 1886م.
- (14) د.و.ق.خ/ مهدية 10A/2/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد
زقل، 28 ربيع أول 1301هـ، ديسمبر 1883م.
- (15) د.و.ق.خ/ مهدية 5/3/1 من مساعد قيدوم، إلى الخليفة عبد الله،
9 صفر 1312هـ، فبراير 1895م.
- (16) د.و.ق.خ/ مهدية 1/36/1 من عثمان آدم إلى محمد ود بشارة، 25
رمضان، 1307هـ، أبريل 1890م.
- (17) د.و.ق.خ/ مهدية 1/6/2 من عبد الرحيم سالم إلى الأمير يعقوب،
21 رمضان 1314هـ، فبراير 1897م.
- (18) د.و.ق.خ/ مهدية 1/3/6 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس،
20 شعبان 1313هـ، فبراير 1896م.
- (19) د.و.ق.خ/ مهدية 2/A8/2 من جاد الله عيسى إلى الأمير يعقوب،
جماد أول 1315هـ، سبتمبر 1897م.
- (20) د.و.ق.خ/ مهدية 3/31/1 من عثمان دقنة إلى الخليفة عبد الله، 27
ربيع 1315هـ، فبراير 1898م.

- (21) د. و. ق. خ/ مهدية 3/31/1 من عثمان دقنة إلى الخليفة عبد الله، 18 جمادي الثاني 1315هـ، فبراير 1898م.
- (22) د. و. ق. خ/ مهدية 1/36/6 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 26 القعدة 1313هـ، فبراير 1896م.
- (23) د. و. ق. خ/ مهدية 1/36/6 من محمد ود بشارة إلى صالح علي، 24 ربيع آخر 1313هـ، فبراير 1896م.
- (24) محررات عبد الرحمن النجومى، (جمع) محمد إبراهيم أبوسليم، مركز أبوسليم، الخرطوم، 2005م.
- (25) د. و. ق. خ/ مهدية 1/3/6 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 1 شعبان 1313هـ، أبريل 1895م.
- (26) د. و. ق. خ/ مهدية 33/5/3 من الخليفة عبد الله إلى النور الجريفاوي، 18 رمضان 1304هـ، أبريل 1886م.
- (27) د. و. ق. خ/ مهدية 1/32/1 من عربي دفع الله إلى الخليفة عبد الله، 12 جماد آخر 1311هـ، يناير 1894م.
- (28) د. و. ق. خ/ مهدية 2/A10/1 من قمر الدين عبد الجبار إلى الأمير يعقوب، 23 القعدة 1314هـ، أبريل 1897م.
- (29) د. و. ق. خ/ مهدية 2/1/6 كشف الترسانة الحربية.
- (30) د. و. ق. خ/ مهدية 2/5/1 من محمد عثمان أبو قرجة إلى الخليفة عبد الله، 4 الحجة 1310هـ، مايو 1892م.
- (31) د. و. ق. خ/ مهدية 2/1/6 ترسانة الخرطوم.

- (32) د. و. ق. خ/ مهدية 1/63/3 من خليل حسين إلى النور إبراهيم الجريفاوي، 8 الحجة 1314هـ، مايو 1896م.
- (33) د. و. ق. خ./مهدية من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة بخصوص صيانة إحدى البواخر 1303هـ/1885م.
- (34) خطاب الخليفة عبد الله إلى حمدان أبو عنجة بخصوص صيانة إحدى البواخر 1303هـ/1885م.
- (35) د. و. ق. خ/ مهدية من بشير كمبال إلى الخليفة عبد الله، 7 ربيع 1309هـ/1891م.
- (36) د. و. ق. خ/ مهدية 10/3/7 بيت مال العموم، 1314هـ، 1896م.

ثانياً: المصادر:

- (1) إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، (جزئين)، مطبعة جريدة المؤيد القاهرة، 1319هـ.
- (2) أر. ونجت، المهديّة والسودان المصري، (ترجمة) محمد المصطفى حسن، الطبعة الثالثة، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2009م.
- (3) جوزف أور فلدر، عشر سنوات في أسر المهدي، (1882-1892م)، (ت) عوض أحمد محمد الضو، مطبعة التمدن، الخرطوم، 2008م.
- (4) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2015م.
- (5) المجموعة الرسمية للجمعية الجغرافية الخديوية- عدد يوليو سنة 1842م، نقلها إلى اللغة العربية، محمد مسعود، مكتبة مدبولي، القاهرة، (ب. ت.). ملخص الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر

الأبيض (النيل الأبيض) الصادر بها أمر ساكن الجنان محمد علي
والي مصر، بقيادة ربان الفرطاقة البكباشي سليم قبودان.

(6) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر،
الخرطوم، 2007م.

(7) يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان،
تحقيق، أحمد إبراهيم أبو شوكة، مركز عبد الكريم ميرغني، أم
درمان 2004م.

ثالثاً: المراجع:

المراجع العربية:

(1) إبراهيم شحاتة حسن، إمارة الإسلام المهدية في السودان، الدار
القومية العربية للثقافة، بيروت، (ب. ت.).

(2) إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، من
سنة 1863 إلى سنة 1879م، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013م.

(3) ب. م. هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر
العربي، بيروت، 1982م.

(4) بشير كوكو حميدة، صفحات من التركية والمهدية، دار الإرشاد،
الخرطوم، 1969م.

(5) بدر الدين حامد الهاشمي، السودان بعيون غربية، مكتبة جزيرة
الرواد، القاهرة، 2012م.

(6) حاتم الصديق محمد أحمد، دور الأمير يعقوب في المهدية (1881-
1898م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2009م.

- (7) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012م.
- (8) عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، كلية الآداب، القاهرة، 2001م.
- (9) عصمت حسن زلفو، شيكان، شركة كرري للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة، (المطبعة العسكرية سابقاً)، 1976م.
- (10) _____ كرري، تحليل عسكري لمعركة أم درمان، مطبعة التمدن، الخرطوم، 1978م.
- (11) محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، ط2، دار الجيل، بيروت، 1981م.
- (12) _____ أدوات الحكم والولاية في السودان، دار الجيل بيروت، 1992م.
- (13) _____، محررات عبد الرحمن النجومي، (جمع) محمد إبراهيم أبوسليم، مركز أبوسليم، الخرطوم، 2005م.
- (14) _____ تاريخ مدينة الخرطوم، دار الجيل، بيروت، 1979م.
- (15) محمد أحمد الداه الشنقيطي، محمد أحمد المهدي، تاريخه، سيرته، حياته، مكتبة القاهرة، القاهرة، (ب.ت.).
- (16) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، 2002م.
- (17) فؤاد شكري، مصر والسيادة على السودان الوضع التاريخي للمسألة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1946م.

(18) محمد محمد البيلي يونس، الاستخبارات في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة السندس، الكويت، 1995م.

(19) مجدي عبد الجواد علوان عثمان، أضواء على البريد المصري عبر العصور الإسلامية مع دراسة أثرية لمبنى الهيئة القومية للبريد بالقاهرة (1282-1350هـ/1865-1931م) دراسات في آثار الوطن العربي 10.

(20) محبوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن (1903-1953م)، ج1، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1996م.

(21) مكى شبكية، السودان والثورة المهدية، (من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم)، ج3، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1984م.

(22) _____ السودان عبر القرون، ط2، دار الجيل بيروت، 1991م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

(1) Ferus Nicoll, the sword of the prophet. Sutton. Publishing, London 2009AD.

رابعاً: الأوراق العلمية المنشورة في مجلات علمية:

(1) أسامة عبد الله محمد الأمين، تاريخ التعليم في الدولة المهدية في السودان، (1298-1315هـ/1881-1898م)، مجلة جامعة النيل الأبيض، العدد 11 مارس 2018م.

(2) دولت يوسف أحمد إبراهيم، أمراء المهدية والثبات على المبدأ (دراسة وثائقية لمواقف أمراء المهدية 1881-1898م) للمؤرخ السوداني محمد

عبد الرحيم، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، المجلد الرابع عشر،
العدد الأول رمضان 1439هـ/ مايو 2018م.

(3) عثمان سيد خليل، أثر الرسوم والضرائب على الطباعة في السودان،
مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 1435هـ/
يوليو 2014م.

(4) محمد إبراهيم أبوسليم، الطباعة في المهديّة، مجلة الخرطوم، مجلة
الثقافة العربية الأفريقية، العدد 12 السنة الثانية، سبتمبر 1967م.

(5) محمد محبوب مالك، الخدمة الدينية في دولة المهديّة، مجلة
الخرطوم، مجلة الثقافة العربية الأفريقية، العدد 8 السنة الثانية،
مايو 1967م.

خامساً: المقالات العلمية المنشورة على الإنترنت:

(1) اتش. اس. جوب، سك العملة في عهد المهدي والخليفة (2-2)،
(ترجمة) بدرالدين حامد الهاشمي، الراكوبة، 17 يناير 2012م.

(2) أحمد صبحي منصور، لمحة عن نظام البريد في تاريخ المسلمين،
أبريل 2009م، www.ahl-alguran.com

(3) تاج السر عثمان بابو، طبيعة وخصائص الدولة في المهديّة، الراكوبة،
19 يوليو 2017م.

(4) _____ كيف كانت أشكال المعارضة للمهديّة
3/3 الراكوبة، 6 فبراير 2024م.

(5) عبد الحميد حسن، مقال منشور، السودان من التاريخ القديم إلى
رحلة البعثّة المصريّة، ج1، الفصل التاسع عشر، الحكم المصري في
السودان.

(6) عبد الرحيم محمد صالح، تقارير المخابرات البريطانية عن السودان (1892-1898م)، تقارير مترجمة ومنشورة بموقع سودانيز أونلاين، 14 يونيو 2016م.

(7) عبد الوهاب جمعة، صناعة السروج، موقع الراكوبة الإلكتروني، 19 مارس 2013م.

(8) جاك ديفز، تاريخ طوابع البريد في السودان، (ترجمة) بدر الدين حامد الهاشمي. مقال منشور، 27 فبراير 2011م.

(9) مازن ميرى، نقود حصار الخرطوم، المقتني العربي، مقال منشور، 5/1/2022م.

سادساً: المواقع الإلكترونية:

(1) أنساب الخيول العربية القديمة والحديث، مدارات ونقوش، مركز جمال بن حويرب، دبي الإمارات العربية المتحدة.

(2) الاتصالات في السودان، منصة المعرفة الإلكترونية.

(3) اللهجة السودانية، صفحة توثيقية على الإنترنت.

(4) ويكيبيديا، الباخرة البوردين.

سابعاً: الصحف الإلكترونية:

(1) صحيفة التحرير، متحف بيت الخليفة يروى صفحات مهمة من تاريخ السودان، 25 مايو 2017م.

(2) شبكة نبأ الإخبارية الإلكترونية، قصة تمثال غردون باشا، 14 أكتوبر 2018م.

(3) ثامناً: الافادات العلمية الصوتية:

(4) إخلاص مكاوي محمد علي، الأختام في المهديّة، دار الوثائق القومية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، إفادة صوتية. بتاريخ 2024/6/28م.

(5) بشير أحمد محيي الدين، مطبعة الحجر في الدولة المهديّة، محاضرة صوتية على التلجرام.



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arriyria for Publishing and Distribution